للصديق المبدع الجميل /

حاتم عبد الهادي

خالص احترامي وتقديري

٢٠٠٦/٨/٨

حوريات الضوء

٣٣٥ ٩٧-١٦/٧/٩٧

قصص

٢٢ش الشهيد عادل منصور متفرع من شارع
فاروق ابراهيم عطيه - الزقازيق
٩/٧

إبراهيم عطية

خيول أدبية

سلسلة إبداعات أدباء الشرقية

تصدرها محافظة الشرقية بالتنسيق

مع مديرية الثقافة

برعاية كريمة من سيادة المستشار يحي عبد المجيد محافظ الشرقية تحول حلم الأدباء إلي واقع ملموس ، وها هو الاستثمار الثقافي ينتقل من حيز القول إلي ميدان الفعل لتخطو على درب الحركة الثقافية والأدبية بالشرقية (خيول أدبية) ذات صهيل شرقاوى أصيل . تعزف على أوتارها تنويعات إبداعية فى مختلف ميادين وفنون الأدب العربي . ولاشك أن هذه السلسة الأدبية الجديدة سوف تحدث أثرا طيبا فى تفعيل حركة الإبداع الأدبي والفكري فى محافظة الشرقية الغنية بأدبائها ومبدعيها كما كانت على مر التاريخ .. حيث قدمت أعلاما استطاعوا أن يبرزوا الوجه الثقافى والحضاري لهذه المحافظة العريقة أمثال يوسف إدريس وصلاح عبد الصبور وعزيز أباظة ومرسي جميل عزيز ود. محمد مندور .. وآخرين .. حق لنا أنا نفخر ونفاخر بهم ، وأن نفخر بمن على دربهم يسيرون بخطىً واثقة فى طريق الإبداع الإنساني الهادف والنبيل . كما يحق علينا أن نفخر بقادتنا الذين يؤمنون بمنظومة العمل الثقافى فى تنمية وتوجيه فكر مجتمعنا .

يطيب لي أن أنقل شكر وتقدير الأدباء لقائد مسيرة التنمية الشاملة بالشرقية على هذا التوجه الحضاري والذي يؤكد على صدق إيمانه بأن الاستثمار الثقافى أعظم استثمار قومي للوطن ، تواصلا مع من يرسمون وجها مشرقا لمستقبل الثقافة والإبداع فى مصرنا الحبيبة .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل

فتحي عقل

مدير عام الثقافة بالشرقية

خيول أدبية
سلسلة غير دورية
تعني بنشر الإبداعات الشرقاوية
قصص (حوريات الضوء)
إبراهيم عطية
الطبعة الأولي
مارس 2006

إهداء

إلى ..

روح

الحياة

التي أدركت معها قيمة الحياة ,

وحلقت طيور الحب لتنشر السلام

على

الأرض .

إبراهيم

دفء المشاعر

الفراغ الذي يحتويني احتويته ، سرنا معاً نبكي بيوت العاشقين ، وعمارات الأسمنت العالية تناطح السحاب ، المدينة هي المدينة تتساقط من أجفان نوافذها قطرات الوجع الساكن فينا ، شوارع مخنوقة بالدخان ، وأسراب الضوضاء تخترق السمع ، وساعة الميدان تُحسرنا على الزمن الذي يمضي ، يبعثر سنوات العمر في معنىٍ بلا حياة .

تبلدت أحاسيس التمني ، وصار صباحي مسائي ، ليلٌ ممتدٌ ، ونهارٌ باردٌ ، يسري بأوردتي ، تنتابني رعشةٌ ، تهز سكون الوحشة ، ولا يبقى سوى جسدٍ مهملٍ ، افترسه الأرق ، وامتص عبير نضارته ، نحافةٌ باتت تلازمني ، هرب الدم من العروق ، فتجمدت أطرافي ببرودة ثلج الوحدة وتخدرت المشاعر بمصل التبلد ، عشتُ الحياةَ بلا حياةٍ ، وأخذتني الدنيا في دوامتها . . .

في الصباح الذي هو مثل كل الصباحات ، يمر ثقيلا ، خرجت من رحم المنزل الذي ألوذ إليه مضطراً كل مساء ، أجر الخطى إلى كشك بائع الصحف الواقف على ناصية شارع مصطفى كامل ، يتوافد عليه جموع الناس ، تصفحت عناوين الجرائد اليومية ، وما وصلت إليه أزمة احتلال أمريكا للعراق من تطورات ، وحركة المجاهدين في مقاومة قوات " المارينز " وسقوط آلاف الضحايا من المدنيين الأبرياء ، تذكرت ما تبعثره الإذاعات طوال الليل من أكاذيب ..(في خبر عاجل أكد مصدر مسؤول في

وزارة الدفاع الأمريكية عن وجود أسلحة دمار شامل غرب العراق وجاري الكشف عنها .) وأسرار جديدة حول وقائع غرق عبارة " السلام " وارتفاع عدد الضحايا ، تلقي بظلالها على الناس في ظل الأزمة الاقتصادية الراهنة ، وارتفاع الأسعار من قبل بعض التجار الطماعين ، وانتشار فيروس أنفلونزا الطيور في دول شرق آسيا ، وما يمثله من خطر يهدد العالم ، توجهت إلى المكتب حاملاً آخر الأخبار الرياضية ، والحوادث ، وفضائح الفنانين ، وحكاية الراقصة(دينا) مع (حسام أبو الفتوح) التي تتصدر الصفحات الأولى ، وأحدث صيحة في عالم الموضة ، تستقبلني إحدى الزميلات مهللة .. :

- أهلا يا باشا .. أخيرا وصلت وكالة الأنباء المتنقلة ..!

استأذنت وأخذت " الأهرام " من بين طيات الصحف التي أخرجتها من حقيبتي ، وراحت تقلب الصفحات في عجالة كأنها تبحث عن خبر ما ، أو قد يكون هناك علاوة غلاء على المرتب الذي لا يغني ولا يثمن من جوع ، بالكاد ندبر أمورنا حتى نهاية الشهر ، طوتها بين يديها ، وتوجهت ناحية مكتبها ، راحت تقلب الصفحاتُ باهتمامٍ شديدٍ ، إلا أن (سهير) زميلتنا الثالثة هبت واقفةً كأنها تبحث هي الأخرى عن شئ يتعلق بها ، صاحت بنبرات استجداء ناعمة .. :

- والنبي يا إيمان شوف لي برج الحوت .. !

أجابتها باسمةً ، مداعبةً كعادتها بخفة ظلها التي عهدناها منها :

- شوفي يا ست سوسو .. بريق حظ وعاطفة تغير مسار الحياة ، تقابلين من يعبر لك عن مشاعر شفافة ، لا تلبث أن تسبب لك الحيرة ، تخوضا تجربة عاطفية تنتهي بالزواج .

وعقبت بعبارة مليئة بالدهاء .. :

يا سيدي .. حظ عوالم ، جتنا نيله في حظنا الهباب ..!

احمرت وجنتا (سهير) خجلا ، متحسرة على الصبا والشباب ، اللذان يشعان من جسدها الواهن بعد أن توفي عنها زوجها ، وتركها وحيدة مع طفلين .. لكن (إيمان) تداركت الموقف في عجالة ، وغيرت الموضوع ، سألتني موارية نظراتها في الجريدة ..:

- وأنت بقي برجك إيه ..؟!

- الجوزاء .

خرجت بتلقائية واسترسلتُ في الحديث ..

- مع إني لا أومن بالحظ .. ما حدش بيطلع على الغيب ، كذب المنجمون ولو صدقوا ..!!

- أيوه يا سيدي .. عاطفي .. حدث كبير يغير مسار حياتك ، تلتقي بالنصف الثاني بعد سنوات طوال قضيتها بحثاً عنه ، تمسك بمن تحب وواجه جميع المشاكل بقوة ، فأنت قادر على مواجهتها وتسويتها ..

وأضافت من عندها عبارة ... :

- يعني يا حلو حتطب ولا حد حيسلم عليك .. يا عيني كل ده مستنيك يا حرام ..! يا ما نفسي أشوفها اللي حتوقعك في شباكها ..!

ضحكنا معاً ، حاولتُ تغيير الموضوع ، وانفرطت من بين شفتي الكلمات

- كل ده ولا في الأحلام ، فين دي اللي ح ترضى بواحد زي حالاتي ما حلتوش اللضي ..؟! البنات دلوقتي كل تفكيرهم في عريس جاهز معاه عصاية موسى ، يقدر يجيب لهم كل حاجة ، وده اللي خلي الشباب يا خدها من قصيرها ويضرب عن الزواج ، وبالتالي ارتفعت نسبة العنوسة بشكل مخيف ..!

هممتُ بالوقوف ، وعلقتُ حقيبتي على كتفي ، مستأذناً بالانصراف ، كي أقوم بجولاتي اليومية ، وتتبع أخبار الناس ، بحثا عن خبرٍ ، يصلح لإرساله عبر الفاكس للصحيفة التي أعمل بها .

النهارُ عاديٌ ، كل شئ يبدو طبيعياً ، يسير على نفس الوتيرة ، ملل وكآبة ، فوق وجوه البشر السائرين يحدثون أنفسهم عبر تليفونات المحمول المغلقة ، هواء الشتاء يعبث بالمارين في الشارع ، نمطٌ واحدٌ للحياةِ ، مللٌ يقيدُ الأيامَ التي لا تتغير ، وجوهٌ صامتةٌ وعيونٌ جاحظةٌ لأُناسٍ يسيرون سكارى ضيق العيش .

سحبني الفراغ للشارع .....، ..

عند عبوري للجانب الآخر من الطريق ، استوقفتني فتاة ظهرت فجأة ، لم أعرها اهتماما ، حاولت أن أولي بعيدا عنها ، ظنا مني أنها تسألني بعض النقود كما هو معتاد من بعض الفتيات اللائى يتسولن في هذا الميدان ، لكن نبرات صوتها الحنون جذبتني إليها ، وما إن تلاقت العيون ، حتى ذبتُ مع قطرات المطر المتساقطة فوق الأسفلت ، تغلغلت سهام رموش عينيها إلى قلبي دون أستأذان ، انتابتني رعدة ، لم أتمالك من جمع شتاتي الملقي على الرصيف ، كأني أعرفها وتعرفني منذ أن خلقنا الله ، تلجمت كثيراً وضاعت مني حروف الأبجدية ، حاولت جمع بعض الأحرف سائلا إياها إحنا ما اتقبلناش قبل كده يا بنت الناس .. ؟!

كأنها حورية ، خرجت الآن من بحر (مويس) أو هي عروس البحر التي تسكنه منذ عهد الفراعنة جاءتني ، كي تُنعم بعبير الحياة للقلب الموصد فازدادت دقاته ، انسابت كلماتها ..:

- مش عارفه أنا حاسه إني أعرفك من زمان ..!

جلسنا نتبادل الحديث ، لساعات مرت كأنها (فمتو) من الثانية ، باحت ليّ بقصائدها ، التي تفيض بالوجد والحنان ، ارتميتُ على صدرها كطفل يتضور جوعا ، وجد أمه التي غابت عنه منذ سنين ، بدت كفرسٍ جامحٍ ، تصهل في البرية في انتظار فارسها ، إلا أن الحزن صبغ عباءتها السوداء ، وغلف نبرات صوتها ببحة ، جذبتني

إليها فأدركت أنها هي التي جاءتني ليلة البارحة ، قمرٌ داعب طيفه خيالي ، وأنار الظلمة التي ابتلعتني متاهتها طوال أربعين عاما مرت من عمري ، لم أفكر في الزواج ، واقتصرت علاقاتي بالنساء على مجرد تدليك للمشاعر ، تنتهي بمجرد انشغالي بأمور الحياة .

سألتها عن اسمها الذي كنت أتوقعه قبل أن تنطق به .. على استحياء طفولي ، تواري خلف حمرة الخجل ..همست .. :

- أميرة .

- يعني أيمو .. !

رمتني برمشها الكُحيل وبنظرة دلال من عينيها العسليتين قالت ..:

- مش بالواو .. باليه .. باليه .

زفرت زفرةً أحرقتني بلهيبها ، أحسست بدفء مشاعري ، انزاح الغمام ، وطلعت علينا شمس الظهيرة ، تغازل وجه القمر الواقف أمامي في استحياء ، استسلمنا لعبير النظرات التي أسكرتنا ، وتناجينا كعصفورين فوق سلك الكهرباء في قلب الشارع ، الذي احتوانا وسرنا معا نحو الحياة . . .

حوريات الضوء

تحديته .. الواقف متباهياً بقوته ؛ مفتول العضلات .. يشير للجمهور بكبرياء الواثق من نفسه .. الآن أنا وهو وجها لوجه داخل الحلبة .. لا سبيل للتراجع .. حانت لحظة التلاقي .. نظراته المحدقة فى الأرض تنبأ بقلق كامن داخله ..حاول الاسترخاء مستندا بظهره على قائم الركن الحديدي للحلبة بينما مدربه يدلك كتفيه .. أقوم بعملية إحماء استعدادا للنزال .. ثوانٍ قليلة وتبدأ المواجهة .. استجمعت طاقة الطمأنينة مركزاً فى النتائج التي ستسفر عنها المباراة .. لابد من فائز ومهزوم ..

ما إن دق الجرس معلنا عن بداية الجولة الأولى حتى قام واثبًا إلى وسط الحلبة .. أشار للجمهور بهزة رأسٍ واثقة .. قمتُ على الفور لملاقاته بعد تحية مقابلة بذراعي اللتان اتخذتهما حائطَ صد استتر وراءه من لكماته المتلاحقة من ذراعه اليسرى .. بعناية شديدة ركزت حتى استطعت اقتناص نقطة غالية من خلال ضربة مباغتة لجبهتهِ العريضة ، تراجع بخفة بهلوانية بعد أن ناولته (هوك) سريعة مما دفعني للهجوم ، واصطياد فرصة اختلال توازنه ، تابعته بضربة (افر) جعلته ينكمش على نفسه فى الركن الأيمن من الحلبة ، حتى يمكنه التقاط أنفاسه واستعادت توازنه المختل على اثر ضربتي السريعة .. لف ودار يمينا ويسارا مخبئا انفه وفمه (بالقلفظ المطاطي) واثباً على مقدمة حذائه الكاوتش ،

مطوحاً بجذعهِ وصدرهِ بحركاتٍ ، تدل على دهائه ومقدرته على إرباك خصومه وإخضاعهم له فارضاً عليهم أسلوب لعبه الذى يتوافق مع خطته ، مركزًا نظراته ناحيتي فى تحدٍ ..اهتزاز جسده ينبئ عن لياقة عالية كأن فى قدميه سوسته تجعله يقفز بمهارة منقطعة النظير تميزه عن غيره من الملاكمين .. لمعة العرق فوق جسمه البني تبرز عضلاته المنتفخة اقترب مني مصوبا لكمة مستقيمة إلى صدري الذى ضاق من احتباس هواء الزفير..تملكتني دوخة خلت توازني ..درت دورتين حوله محاولاً صنع خللٍ لإخراجه من لحظة التركيز التى يستعد بها لمعاودة هجماته ، بحذرٍ لاحقته بعدة ضربات متتالية اسفل البطن ، ابتعد عني وعدل من وقفته .. هجم عليّ كثورٍ هائجٍ ..انطلقت من ذراعهِ اليسرى سيلٌ من الطلقات النارية مصوبة لوجهي .. ناورته واثباً على قدمي مصوباً عدة لكمات ناحيته .. تراجع للوراء متحاشياً ضربة طائشة قد تصيبه فى رأسه على غفلة .. اقترب مني وتشابكت أيدينا .. دفعني للوراء .. لم أتمالك السيطرة على جسدي ، فوقعت على حبال الحلبة بعدما فقدت القدرة والسيطرة على حفظ توازني .. انزويت فى أحد الأركان محتمياً بذراعي اللتان أصابهما الخدر والتنميل ، فتهاوت عزيمتي اسفل هتافات الجماهير ، تهت فى زحام الصالة الخانق ، وفقدت الوعي اثر تسديدة خطافية فى رأسي ، لحقها بضربة قلصت عضلة البطن ، تابعها بلكمة ... دارت الدنيا ، فطفئت أنوار

الصالة المغطاة وزغللت عيناي .. وقعت فى دوامة الغيبوبة ، شعرت بسقوط السقف الحيطان فوق يافوخي .. تداعت إلى مخيلتي نظرات الخزي والانكسار فى عيون أبي الجالس على كرسيه المتحرك منذ أصابته الجلطة اللعينة بالشلل ..أقعدته عن الحركة ، تغلب على الرعاش الذى قيد أعصابه وأشار لي .. صرخات أخي الصغير وقد فرت الدموع من عينيه تستجدياني بالنهوض .. تملكت من جسدي فسقطت .. قهرت الضعف مستمدا قوتي من إرادة الحياة .. ذاب الاستسلام فى العرق المتساقط فوق خشب الحلّبة .. قاومت مرتكزا على ذراعي .. طوحني هتاف الجمهور ، ريشة فى الهواء ، ورفرف القلب مع حوريات الضوء الذي اغرق الصالة .. التففن حولي وهدهداني .. أنعشتني يقظة العزيمة.. شاورن لي بابتسامة أعادت نشوة الجسد وحيويته .. نهضت محاولاً التحرر من المصيدة التى نصبها لي بمكره ويريد أن يوقعني فيها ، وقفت قدامه وجها لوجه .. ناور بحركات جسده التى درستها جيداً أثناء متابعاتي لمبارياته التى لعبها على مدار سنوات اعتلاءه عرش البطولات .. وضربته المتخفية التى يفاجئ بها خصمه فتربكه.. يتبعها بعدة لكمات متتالية ، تفقده السيطرة على نفسه وفى اقل من لحظة يتمكن منه ويناوله الضربة القاضية ؛ فيتهاوى على الأرض فاردا ذراعيه للسماء .. فاقداً الوعي غائبًا عن الحياة ..

لقد أعددت نفسي لملاقاته منذ بداية خوض التصفيات المؤهلة لهذه المباراة ، وقبلها بمعسكرات الإعداد المغلقة ومباريات ودية كثيرة خضتها.. تتبعت برنامجاً تدريبياً شاقاً استعداداً لهذه اللحظة العصيبة ؛ كم حذرني مدربي من ذراعه اليسرى القادرةَ على المُناورةِ .. تَطولُ وتقصر بأعجوبة ، هذه الذراع التى أسقطت أفيالاً بشرية .. تهتز من تحتها الأرض ، بضَرَبَةٍ قَاْضِيةٍ .. بمجرد الوصول للجولة الثالثة أو الرابعة فى اغلب الأحيان ، حيث يقوم بإرباك الخصم بمتتالياتٍ قوية لا تراها العين يمينا ويسارا ؛ حتى يتمكن من فتح ثغرة فى الخصم تتسلل ذراعه منها مندفعة بقوة إلى أسفل الذقن ، فيقع على أثرها منافسه فاقدا السَّيطرةَ على جَسدهِ ويغيب عن الحياة .. (فى إحدى المرات شاهدته يناضل مع خصمٍ عنيد .. مخلوق بشرى فى هيئة ثور ، أحرجه حين أعطاه (علقه سخنه) صوب لهُ ضرباتٍ شجت حاجبه الأيمن وزاد النزيف ، وانتفخت عيناه ، ولشدة ما أصابه من إعياءٍ كاد أن يسقط فى الجولة الخامسة ، ويفقد عرشه ، وتربعه لسنواتٍ طوال على العالم لولا أن أنقذته العناية الإلهية ، ودق الجرس معلناً نهايتها ، وفى الثواني الأولى للجولة السادسة باغت خصمه بقذيفة مدوية قضت على الثور فى الحال ، فاضت روحه أمام الناس مما زاد من رهبته ، جميع اللاعبين يخشون اللعب معه ، ومن يتحداه يتملكه الرعب من فبل ملاقاته ، وتساهم وسائل الإعلام بدور كبير فى إحداث الضغط النفسي ،

والعصبي على الخصوم ، وتختل ردود أفعالهم قبل اللقاء ، ويصبح الأمـر سـهلا بسـيطا بالنسـبة لـه .. مـا عليـه إلا أن يصـعد للحلبـة ليؤكد جدارته .. وها هو أمامي بشحمه ولحمه فى مـواجهتي .. قدر لي أن أنافسه على تاريخه وسنوات الشهرة والأضواء التى قضاها وحده متمتعًا بحوريات الضوء اللائى يقفن حول الحلّبة استعدادا لتتويج الفائز منا ، بالأمس رأيتهن يطوقن عنقي بزهور من الماس لم أر لها مثيلاً من قبلِ ، كـائنهن جئن يلـوحن بالبشـارة ، حـين وقَعتُ نتيجـة ضـربة قويـة أفقـدتني الـوعي .. صـعدن إلى الحلّبـة اغتسلنني من التعب والإرهاق .. اسقوني ماء المُحَيَاةِ .. وقَفْتُ مستعيناً بالحبال انظم أنفاسي ، استيقظتُ من غفلتي على عَدَ الحكم الذي أشار بكفّيهِ أمام عيني .. تفحصهما ناظراً فى حدقتيهما ليتأكد من قدرتي على مواصلة اللعب .. مشيراً له باستكمال المباراة ..لا مجال للاختيار أكون أو لا أكون

❖❖❖

استجمعت قـوتي .. هَجَمْتُ عليـه مصـوباً ضـربات طائشـة يمينًا ويساراً وأسفل البطن .. احتمى بذراعيه متراجعًا بظهره فى ركن الحلبة .. انتابتني هستريا الخوف .. هجمت عليه دون توقف .. احتضنني اتقاء سيل القذائف المتلاحقة التى اربكته .. أفقدته قدرة

السيطرة على حفظ توازنه ..كشف عن وجهه .. تلاقت نظراته بنظراتي ..تجرأت وسحقتُ لحظة الضّعفِ التى انتابتني ....

رغم كل ما أُلاقيهِ من صمودٍ وكبرياءِ العنيد فقد تحديته .. رغم تمتعه بلياقةٍ فاقت حدود البشر العاديين ، وصَلابة عَزْمٍ خارقةٍ ؛ جعلته صامدا حتى النهاية .. لن يحسم المباراة سوى ضربة قاضية ، تقضى على طموحات أيٍ منا أو مَنْ يحصل على أكبر عدد من النقاط .. الجولة العاشرة بدأت منذ قليل والمباراة تسير سيجال بيننا ، وهو مازال واقفٌ على قدميهِ لا يتأثر بشيء ...!! مما دفعني على الإصرار ؛ والتحدي صامداً صمود المضطرين ، رغم ما أعانيه من إعياء وكدمات ورَّمَت وجهي .. ما هى إلا دقائق معدودات ويتحقق الصعود .. ثلاثُ خطواتٍ فقط تبعد بيني وبينه .. ثلاثُ خطواتٍ إمَّا للسماء بعد أن يقتلني بضربته القاضية أو إلى المجد والأضواء ، ومن حولي حوريات الضوء يتهافتن علي ..لابد أن أُثبتُ للجميعِ أنني قادرٌ على التحدي .. بكل ما أوتيت من قوة تحاملت على قدمي اللتان أنهكهما حَمْلُ الجسدِ مقاوماً الخدر والتنميل اللذان تسربا لأعصابي ، وتقلصات عَضَلَة البَطنِ .

تولدت إرادتي من هتافات الجماهير فى الصالة ، قوة كامنة في أعماق النفس ، تظهر عند الشدائد ، لها مفعول السحر

فى تحقيق الأمنيات ، بالجهد والعرق ، فاليأس لا ينبت إلا فى الظلام ..

❖❖❖

ازدادت أضواء الصالة وأمطرت الكشافات سيلاً من النور .. رفرفت الحوريات بأجنحتها الشفافة فى السقف المغطى ، انبثقتُ خيوطُ شعاعٍ مسلطٍ على الحلَبة شحنتني بطاقة دفعتني ناحيته .. تلاقت نظراتي بنظراته .. سَحقتهُ بنظرة نارية مُحَمَلةٌ بالحقدِ والكراهية أرعبته .. وتهاوت قلاع الكبرياء والاعتزاز فى حدقتيه السوداوين .. حددت المسافة الفاصلة بيننا .. خطوتان للأمام ولفة جانبية ، وفى الثالثة ناولته باليمني واليسرى عدة لكمات سريعة فى يديه اللتان أصابهما التراخي .. تبعتها بدورانٍ ، أعقبه لكمة خطافية اسفل الذقن وثانية مستقيمة فى الأنف .. اختل توازنه وتطوح مترنحاً على الحبال التى دفعته بقوة رد الفعل ، فسقط فوق أرض الحلَبة مستلقياً على ظهره .. قاوم ما أصابه من إعياء ، إلا أن جسده المتعب تشبث بالأرض مستسلماً للراحة فارداً ذراعيه .. عد عليه الحكم .. عند (رقم 7) استنهض ما تبقى بداخله من أنفاس ، اغرورقت عيناه اللامعة بالدموع .. راح يُحَدقُ في الفراغ البعيد ، بينما يدي اليمني فى قبضة الحكم الذى رفعها للسماء بعد أن أتم عده للرقم عشرة .. معلنا تتويجي بطلاً على العالم .. شعرت بتراخي

ذراعيّ اللتان رفعتهما فرحا.. انهمرت الدموع من عيني .. هاص الجمهور ، وصفق تصفيقًا حاداً ألهب حماس أخي الذى ارتمى فى أحضاني ، أوقفت نشوة النصر أبي على قدميه ، وسط هُتَافٍ وصفيرٍ متنوع من المشجعين .. بادلتهم التحية والقبلات .. أغرقتني المصابيح الكهربائية بنورها .. زاغت نظراتي فى زهور الضوء المتساقطة من أيدي الحوريات اللائى يُبَادلنني ابتساماتٍ عذبة .. التففن حولي وحملنني للسماء .. خر جسدي مستسلماً للراحة .. يغرقني ضوء من نور أبدي ...

كل شئ على ما يرام

كعادته يقابلني فى المساء بألفة ،أسلمه نفسي المثقلة بعناء يوم ملئ بالمشاحنات ، وتستقبلني الكراسي والترابيزات الفارغة ، بود افتقده فيمن حولي من أناس ، كنت احسبهم يبادلونني حميمة اللقيا ، إلا أن الواقع المرير يفرض سيطرته على العلاقات الإنسانية حتى طغت المادة ،وتحكمت فى بورصة المراهنات لاختيار الرجال ، وما مدى المنفعة التي ستعود عليك من مصادقتك لشخص ما ....؟!

- يــــاه كم أنت قاسية أيتها الحياة ...!

يقابلني عامل المقهى بوجهه البشوش مرحبًا بنبرة صوته المنغمة طَرِباً بمقطع أغنية يرددها على الزبائن الغرباء ،وبعض سحنات مألوفة أراها يومياً ، يبادلونه الضحكات ، وإشاعة روح المرح تذيب تجاعيد الحزن المتراكم فوق الكراسي الصامتة ، وبقايا تفل الشاي القابع فى قاع الأكواب الفارغة مخلوقات صغيرة تطير مغرقة السماء بالظلام.

ما إن جلست فى زاوية الباب الزجاجي أتفرس الوجوه الشاردة حتى أتاني بكوب القرفة الساخن ، تتصاعد أبخرته .. تشحن الجسد بدفء الجنزبيل.. فينتعش القلب بمرور الحسناوات اللائى يسحرن العيون.

انظر الميدان ... وقع خطوات المارة يساير عقرب ساعة المحطة التي هي دائماً تسبق الوقت بعشر دقائق تقريباً ، وارقب البومة البيضاء التي تسكنها وهى تطوف حول البرج العالي في عتمة الليل ، تعفر الميدان الواسع بشبورة كثيفة ، أغرقت العيون بضباب الرؤية ، وهواء (أمشير) ينثر رذاذ الماء البارد فوق الإسفلت المندى بالسواد القاتم ، عواميد الإنارة تدمع بقطرات الضوء المتجمد حول الكشافات،فتهبط على أشجار الزينة التي بدت أشباحا مخيفة ، تنفخ بأبخرة دخانية تخف تمثال- عرابي- من الميدان الذي بدأ يتلاشى رويداً رويداً ......

ارتشف الدفء من الكوب الساخن مقاوما رعشة تملكت جسدي ،وأهدهد طفلاً يشبهني ،يرتعد داخلي ، أحنو على طفلٍ يبيع مناديل ورقية ، حافي القدمين ،واشد على يده بما تجود يدي ، وتعلو دقات القلب بانين الوحدة ، وسخونة أبخرة (النصبة) تمس وجهي بصهد البخار المتصاعد من الماء المغلي في – الكنك - المدفوس في الرمال وتذيب برودة جو الشتاء القارص .. يتصاعد صوت _ العجوز _ شاعر الربابة الواقف في الميدان ، حوله جموع الناس منتشين بدندنات اللحن الشجي ...

" ما حدّ أتغلب كيف غلبي

وغلبك فى جوفي هراانى

جابوا المحا وير .. صلبي

تقدم خصيمى . . وكواني .

وكنت أظن أن الحياة ستعطيني مثلما أخذت منى ، إلا أنها بإصرار جحودها تنتزع الفرحة ، وتطعنني دون رحمة أو هوادة ، كأني منذور للشقاء ...مُتيتُ كثيراً وتمنيت ، أطلقت جوادي ليسابق الدنيا ،واعبر كل حواجز العمر المؤلمة ،شاهراً حلمي فى وجه منَ تحد ونى

❖❖❖

الصحبة الذين توطدت معهم علاقة تعارف على المقهى بدءوا يأتون فرادى من كل ناحية ، للعب الدومينو والطاولة .. استقبلهم بشوق تحت سحاب دخان الشيش والبوري المرصوصة بين الترابيزات المتفرقة ، وننشغل فى ممارسة طقوس اللعبة المزدوجة عشرة وراء عشرة .. صخبٌ وصراع .. دقات القطع تشيع الملل بين الجالسين محدثة فرقة ، وصداع أهدئه بقهوة زيادة أتنحى جانباً .. أتبادل الحديث مع عقول بيضاء بياض سيراميك جدران المقهى من العاطلين الذين تخرجوا وجلسوا يندبون الحظ مُحبطين لا يشغلهم سوى نتائج مباريات الدوري العام ، وبعض حكايات عن الزواج العرفي ، وقنوات الجنس المشفرة وأخر ابتكاراتهم فى حل الشفرة ، والسهر حتى الصباح فى مشاهدة التليفزيون وما أحدثته

الوصلة من نقلة كبيرة لمتابعة ما يجري في العالم من أحداث متلاحقة .

رواد المقهى أناس شتى يقبل مَن يقبل ، ويذهب مَن يذهب شيوخ وشباب ،ونحن جلوس نرقب صنوف البشر المرصوصين أمام التليفزيون منهمكين فى المسلسلات العربية التي تستخف بعقول المشاهدين ونشرة الأخبار تذيع أنباء عن الحرب والدمار ،وأزمة السلام،ترتفع الضحكات وزعيق السيارات المسرعة فى الشارع المغبش بالضباب وتصبح الرؤية ..شيش بيش .. يزدحم المقهى ، وتنفرط الأحاديث المملة فوق الترابيزات ..أكواب وفناجين فارغة ، وشيش مكتوفة الأيدي ، تفوح ببقايا معسل التفاح والسلوم .. اهمس لصديقي مصطفى المشغول فى اللعب ...:

- أنت ما بتزهقش يا أخي ..!!

باغتني برده المفعم بالأسى والمرارة ...:

- مافيش حاجه تانية نقتل فيها الوقت وننسى قرف الدنيا ، عايز أنسى اللى جوايا ، عشان اقدر أعيش ، أحس أني إنسان غير اللى فى الشغل وغير اللي فى البيت ، متجدد باستمرار ، مش حاسس بالهزيمة والعجز بعد ما حسيت بقلة قيمتي قدام أهل (جيهان) طالبوني بمهر اكبر من إمكانياتي وضاع الحب مع العريس الجاهز فخطبها رغم علمه بعلاقتنا ووافقت..!!

واسيته مواسياً نفسي ..أحسست بتفاهتنا .. وأن الشعارات التي يتغنى بها في الحسب والنسب ..:

شرَ الرجال كنوز - وأشياء من هذا القبيل ، تصنعها قلة الحيلة ،المهم كم ستدفع ، أظلمت الدنيا فى عيني بعد ضياع (نور) منى اشتراها من معه ، كأننا قد كتب علينا الفراق مثل كل المحبين .

أحسست بحاجة للبكاء،فاتخذت ركناً وتطهرت بدموعي . وحدي ابصر الشارع المغمى بالشبورة المعتمة ..لاحت صورة صديقي (حسن) الذي سافر لدول الخليج بحثاً عن المال بعد أن قفلت الدنيا أبوابها فى وجهه ،امتدت سنوات الانتظار بعد التخرج ، جرحتني نظرات صديقي المنكسرة ،وضحكاته المهزومة أثناء انشغاله باللعب .. مسكين يا صاحبي كلنا فى الهواء سواء .. ومنشد الربابة يردد ..:

" طبيب الجرايح قوم الحق

وهات الدوا اللى يوافق

فيه ناس كتير بتعرف الحق

من غير ضروره بتوافق ".

أضعنا الوقت ..واختنق الشارع بالشبورة ، اختفت بناية المحطة ، وبرج الساعة ، والعمارات المحيطة بالميدان ، أظلمت المصابيح الباكية على أبواب كافيتريا الزهراء الخالية تماما إلا من شلة شباب مستغرقين فى الأمريكانى ..اعتلتنا الوحدة ، وشاعت البرودة

ـ في النصبة والأركان ، وبدأ العمال يلمون الكراسي والترابيزات ، ومسح البلاط بالماء المخلوط بمسحوق النظافة .

قمنا متكاسلين ، بعد أن دفعنا الحساب للعامل خفيف الظل الذي ودعنا بأغنية للعندليب ... :

" بيع قلبك بيع ودك

شوف الشاري مين .."

نظرت لصديقي وابتسمنا سوياً ، بعد أن تطهرنا من أحزاننا التي ما زالت تسرى فى دمائنا .. مشينا نجر الخطى فى الشارع الخالي من الناس إلا من الشبورة التي اخفت معاله ، وطفلان متكومان تحت نفق المحطة المظلم ، ما إن خرجنا من الوحشة المفزعة حتى بدت شوارع الزقازيق باردة ، تقاسمنا الصمت .. ورحنا نجتر ما بدأناه فى أول الليل من أحاديث ، منكمشين على أنفسنا ، وقع الخطى يشرخ زجاج الشبورة المغبش .. تساقطت قطرات الندى فوق رؤوسنا ، والإسفلت المبلل بالماء ، نفخت بأبخرة النفس الدافئ فى الأكف الباردة ، فاختفت البيوت .. سرنا فى الشارع الطويل ، نرقب نور الفجر فى السماء المظلمة ، ويبقى كل شئ على ما يرام .

الشـــارع

دائما أراه يثير بهجة عند ملاقاته ،كلما ناداني الشوق والحنين لرؤيتها ،أسير متباهيا بحسنها ،ووداعة طفلة شقية تطل من البلكونة تسرُّ الناظرين ، فأصفر بنغمة عصفور يغازل عصفورته فوق سلك الكهرباء ، وانتشى مرحًا ، واضعاً يديا فى جيبي البنطلون ، واقذف بقدمي ما يصادفني من أحجار منتشياً بصوت عبد الحليم . . .

" فوق الشوك مشاني زماني

قاليّ تعاليّ نروح للحب "

فيقابلني الشارع بفرح مغتسلاً فى نهار المصابيح الفسفورية ،وترفرف أجنحة النور الملائكي ، تساعدني كي أحلق للسماء الشفافة بضوء القمر الواقف على النافذة ، يترقب طلعتها ، ويهمس بتراتيل العشق مناجياً ليلاه ، فأترقب نظرتها الفواحة بعبير الفل .. منيت الروح بلقياها ، وأشهدت الدنيا والجيران على ميثاق العهد الأبدي ، خبطت على الباب حتى احمرت وجنتاي خجلاً وتلعثمت قائلاً ..:

* هبني أبنتك يا عم وصل الحياة .

ولأنه يدرك ما بي من وجد ويعرف كل ظروفي ..صمت قليلاً وقال بكل بساطة ..:

* أنت مش جاهز .

ابتلعت صمتي على استحياء ووليت بعيداً ..أنزف ما تبقى من أحلام فى الشارع المظلم الملئ بالخوف وفئران الفزع ..خطواتي المتثاقلة تسحق الإسفلت ،والنوافذ المغلقة ، وبقايا أنقاض منزل مهدم . . يستشعر الوحشة والفقد ، ألوذ إلى جداره أبكى وحدي وشجرة الفيكس الوحيدة السوداء وصوت العندليب البعيد. . .

" بعد سنين قالي ارجع تانى

ح تعيش فيه مجروح القلب "

الشارع هو نفس الشارع ، بيوت وحوائط رمادية ن أكوام قمامة ، وإسفلت أسود ، ونوافذ مغلقة ، وغسيل على حبال البلكونات يبكى ، وسماء غاب عنها القمر .

زهرة السماء

أني عليهم لقادر .

أسرها في نفسه .

وأصر على تنفيذ العملية وحده ،

اخترق جموع الناس المتزاحمين في الميدان ،

وما أن رأى ذا العباءة النوارنية حتى اهتز ،

واغرورقت عيناه بالدموع ،

حلقت الروح مع فراشات الضوء المتساقط من أعمدة الكهرباء ،

احتضنه حنو الأب على ولده ،

وانفرجت أسارير الفرحة ،

ابتسامة ارتسمت على وجنتيه ،

وبنات الحور حوطوه ،

يزفونه في عرس كبير ،

اقترب منه وضمه إليه قال .. :

- مالك لا تأمني على نفسك وأنا مذ عرفتك شجاعا ..؟!

امتطى جواده ، وأشار للريح فأتته صاغرةً ، طوع أمره ،

وما إن رأته الطيور الواقفة فوق مئذنة الأقصى ، طافت ،

وحلقت فوقه مؤنسةً وحدتهُ ،

أزهرت السماء بنجومها و زينت .

عند السدرة قابله ذو اللحية البيضاء في عباءته التي تشع بريقا ،

يخطف البصر ،

اقترب منه ، توارى ، وناء بجانب السوَر ،

توقفت قدماه عن الحركة . واستسلم لخوفه ،

صافحه وضمه إلى صدره ،

هدئت نبضاته بعد أن تسرب دفء الطمأنينة إليه ،

اخرج قنينة مسك مسح على وجهه ورأسه ،

وأمسك يده الباردة متسائلا ...:

- ما بك ..؟

تلعثم وجمع شتات قوته ،

تطرقت إلى عقله ريبة ،

وحيرة لم يصادفها من قبل ..

- كيف يكون الفارس المدافع عن قومه ويتسرب الخوف إليه .. ؟!

مؤكد لو عرفوا مَنْ ولوه بهذا الجبن لاختلف الأمر ،

تمالك مستعيدا عزيمته التي وهنت ،

أمسك بزمام شجاعته ،

وانقض على خوفه ، مخترقا الحصار الذي فرضوه على زهرة المدائن ،

وفي قلب الزحام نظر إلى السماء متضرعاً ،

ونزع الفتيل ،

فدوى انفجارٌ رهيب عصف بكل شئ .

ميكروباص أبو عايشة

" عرفتوا اللي جري ..؟! "

شـاع الخـبر في أرجـاء (المعمـورة) ولاكتـه الألسـنة – مضغة – في فم النساء على العتبات وداخل الدور ، تناقله الرواة والرجال في قعدات مقهى " ابن نفوسة " التي أنشئت على أثر ما جري ، ورددها العيال في ألعابهم ، ولم تعد هناك سيرة أو موضوع يشغل البال سوي ما جري ، تناسي الناس حياتهم الخاصة والعامة ، تناسوا الزرع وانشغلوا بما حدث وما كان ، وانتشر الخبر انتشار فيروس الطاعون الذي أصاب (المعمورة) وأجوارها من قري وعزب وكفور ونجوع ، حتى زحف إلى البنادر والمدن ، حدث ذلك في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، وعاشت البلاد أسود أيامها ، ولم ينجو من المرض سوي القليل القليل ، ممن لهم عمر في الدنيا ، أما (المعمورة) فقد راح منها زهرة شبابها ، وأطفال عيدان خضراء ، أفترسهم الطاعون ، وضاقت الجبانات بالجثث ، مما أضطر البعض الحفر في الغيطان المحيطة بها ، إكراما للموتى ، ووأد الوباء اللعين اللي ما يقدر عليه إلا رب القدرة ..

ومن ساعتها ولم تمر البلدة بحدث شد اهتمام الناس مثلما حدث لـ (عبده أبو عايشه) وكأن الكعكة في يد اليتيم عجبه ، استكثروا عليه المنحة من الله لعبده الفقير ، بعد سنوات من التعب والشقاء قضاها في الغربة ، وتشدقوا في الغيطان والشوارع حتى

رددت الغربان والبوم والحيطان والطيور ، والبهائم في الزرائب ، تلك الحكاية التي ذاعت ذيوع الحسد والنميمة ، ورددها العالم والجاهل ، من رأي ومن سمع ، وتناقلها أبناء القرية من المتعلمين في مدارس المركز وجامعاتها ، لذا وجب عليّ أن أوجع دماغكم وأقص عليكم ما قصصناه من زمن ليس بالقريب ولا بالبعيد ، حتى ترون من أحوال الدنيا ما تعرفونه ، ودوام الحال من المحال ، وما دائم إلا وجهه .. مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، وعلي رأي المثل أبو جاموسة يحسد أبو معزة .

❖❖❖

واللي جري إن (عبد ه ابن عايشه الطرشه) اشتري عربية ميكروباص أخر موديل من حر ماله ، ومن ساعتها وأهالي - المعمورة – لا على حر ولا على بارد ، إذا قابلت أي شخص في الشارع ، استوقفك دون أن تعرفه ويعرفك من غير لا أحم ولا دستور قائلا ..:

- معر فتش اللي حصل يا عم مش عبده أبو عايشه جاب ميكروباص .. والله أمله يا أولاد .. طب منين ..؟! كلنا عارفين البير وغطاه ..!!

ولأن للنهار عينان فتحهما مع بزوغ أول ضوء ، طاردا النوم من جفون السماء ، قامت كائنات خلق الله ، للسعي على الأرزاق ، وصلاح الأحوال ، وعلت صيحات الديوك من دور العزبة ، لتنبه

ميكروفون الجامع بصوت الشيخ (يونس) ينادي بالأذان .. الصلاة خيرٌ من النوم .. فاستيقظ (عبده أبو عايشه) وشطف وجهه بالماء ، ومغط طوله في ملابسه ، وهم بالخروج إلي (الميكروباص) الواقف أمام الدار ، متوكلا على رب العباد ، اشتراه من شهر فقط ، دفع تحويشة العمر ، واستطاع تدبير مبلغ أول قسط من ثمنه ، 50 ألف جنية بالتمام والكمال ، أرهقه ، تدبيرهم ، باع مصاغ الولية التي قالت له ..:

- بكره تشتر لي أحسن منه ، فداك يا نور العين المال مالك ..

والناس لا تعرف المستور والهدوم يا ما بتداري ، لكن الناس يشهدون له شهادة حق ، لما عرف عنه بالكرم وطيبة القلب ، ما في جيبه ليس له ، عملا بمبدأ ، اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب مما جعل البعض يتشدقون على القهوة فقال أحد الحاقدين..:

- أقرع ونُزهي ، يا شيخ بلا عنطظة ونفخة كدابة ..!

وما يأتيه بالكاد ، يسد أفواه كومة اللحم التي في رقبته ، أمه العجوز وخمس بنات تركهن له أبوه قبل أن يخط شاربه ، وزوجته أبنت خاله (حسنين) أصرت عايشه على زواجه منها ، فجاءته بولدين وبنتين ، وأزداد الحمل هماً ثقيلا ، جعله يبدو لمن يراه شارد الذهن ، ممصوص الجسد ، لم يضع في الحسبان ولو لمرة

واحدة أنه سوف يصبح من أصحاب الأملاك ، رغم أمانيه وأحلامه أن يركب عربة ولو نصف لبه .. ملكه .. قائلا ..:

- حمارتك العرجاء يا واد يا عُبد تغنيك عن تحكمات (برعي) اللئيم ، الذي يعاملك كما لو كنت عبدا تتلقى منه الأوامر ، وعليك الطاعة وعدم المناقشة ، تسمع فتطيع ، الحاجة مرة ، وضيق اليد ، وكومة اللحم التي تجري عليها لا تدع مجالا للتفكير ولو مجرد لحظة ..!

أخيرا تحققت أحلامك يا عُبد ، أصبحت من أصحاب الأملاك ، لكن كيف ستدفع القسط الشهري والمبلغ يقصم الظهر ، يحتاج للعمل ليل نهار ..؟! ثلاثة آلاف جنية تدفعها مع أول كل شهر ، كما اتفق في العقد ، والشيكات التي وقعت عليها على بياض تمهد الطريق للسجن .. أما الدفع أو الحبس . ربك هو المعين ، تبات نار تصبح رماد ، وما يقدر على القدرة إلا الله .

❖❖❖

وما حدث إن أهالي العزبة تناقلوا الخبر فيما بينهم بسرعة البرق ..:

- معرفتوش اللي حصل مش عبده أبو عايشه جاب ميكروباص .. والله أمله يا أولاد .. طب منين ..؟! كلنا عارفين البير وغطاه ..!!

ولأن الحسد موجود في كل زمان ومكان ، قامت الست (عايشه) بذبح خروف على قد الحال ، وطبعت بكفها فوق بياض

الميكروباص ، وعلى جانبيه ، لطخته بالدم حتى يشهق كل من يراه ، وأوصت عبده بتعليق خمسه وخميسه ، وخرزة زرقاء تحد من سم العين التي فلقت الحجر ، قبل أن يأتي بها من (الأجنز) ذهب إلي الخطاط ، وكتب على الزجاج الخلفي — الستار موجود _ وفوق الرفرف _ العين صابتني ورب العرش نجاني ، و _ يا ناس يا عسل عبد النبي وصل _ وقصد المولي الكريم أن يعينه على تسديد فلوس الناس .

وما إن رآه نفر من العزبة ، حتى أخذ ذيله في أسنانه وراح ينشر الخبر ، الذي دوى أسرع من البرق ..:

- الحقوا يا أولاد عبده وصل ..!

وخرجت المعمورة عن بكرة أبيها لتستقبل (أتومبيل) عبده الجديد ، وتساءل من لا يعلم متعجبا ..:

- فيه إيه .. جري إيه لحال الدنيا هي القيامة قامت ولا إيه ..؟!

نزل عليه صوتا من السماء ..:

- معر فتش اللي حصل مش عبده أبو عايشه جاب ميكروباص ..

والله أمله يا أولاد طب منين ..؟! كلنا عارفين البير وغطاه ..!!

وتمنوا أن يفتح الله عليهم مثلما فتح على (عبده أبن عايشه) الذي سافر إلى بلاد بره ، وعاد محملا بالخيرات ، وزكائب من الفلوس

، يتوه في عدها موظفي البنوك الذين يسمعون عنها في المركز .. ترى هل وقع المحروس لأمه على كنز ..؟!

كلما دخل عليهم – المعمورة – وسمعوا صوت الكلاكس على أول طريق الأسفلت ، خرجوا جميعا من الدور ليروا ما لم يرونه من قبل ، وسيلة السفر التي يركبونها عربات (الديهاتسون) التي يحشرون فيها ، بعد البغال والحمير وعربات (الكارو) التي ظلت زمنا تربطهم بالمدينة .. أما الخيل فكانت عند العمدة (عبد الودود) وحده ، أتخذها ركوبا وزينة للتباهي على خلق الله الفقراء ، الذين أقسموا فيما بينهم على ترك الأرض ، والسفر إلى بلاد بره لينصلح الحال ، ويبنون بيوتا من الحجر الأحمر ، ويأتون بالأجهزة الكهربائية والتليفزيون والدش ، وينقذهم المولي من رائحة الزرائب ، والمشي حفاة لدرجة أن الأمراض استوطنت في أبدانهم من طحال وفشل كلوي وكبد وإسكارس وبلهارسيا امتصت نضارة الشباب ، فبدت الوجوه صفراء أخفتها سمرة الشمس الحارقة .. واحتار معها طبيب الوحدة الصحية ..!

❖❖❖

بدأت الأفواج تتسرب من الغيطان حتى بارت الأرض ، وجفت الزروع ، والضروع ، مما جعل أصحاب البهائم يبيعونها للراحة من وجع الدماغ . وسارع عمال الجبل من الفلاحين في

استخراج (البزابورتات) استعدادا للسفر ، سواء بـ(فيزه) أم بدون فيزه ، هروبا من السنة زوجاتهن اللاتي تعايرهم ..:

-يا ندامة الشوم ما حصلتوش أبن عايشه ..!

لذا هربوا جميعا إلى بلاد بره ، إلا قلة قليلة ، وصارت أرض المعمورة خاوية ، وانتشرت المساحات البور التي أنزرعت بأعمدة الأسمنت ..!

ورد في الكتب أن الحسد تمني زوال النعمة لدي الغير ، فتمني بعض (العاوطليه) من الجالسين على قهوة نفوسة ليل نهار ، لا شغله ولا مشغله غير سيرة الخلق ، أن تزول النعمة من يد عبده أبن عايشه ، أو يكون لهم نصيب في الرزق ، ويأتيهم مثلما أتاه

❖❖❖

في ذلك الصباح روي شهود العيان من رأوه متجها إلي نصبة (سعداوي) في الموقف ، لتغيير ريقه وتناول كوب شاي (الاصتباحة) حتى يفيق ويتوكل على مولاه ، بينما داعب أصدقائه السائقين ، أبناء الكار ، ورماهم بالنكات حتى أتي عليه الدور بالتحميل ، نادي على الركاب حتى امتلأ الميكروباص ، وراح يرمي كل من في الموقف بالسلامات ومع هذه المداعبات المرحة ، كان ينتظر راكبا أو اثنين زيادة عن العدد إلى أن أصبح علبة سردين حشر فيها رؤوس بشرية ، وجلس على "الدريكسيون" في

خفة ومهارة الشباب ، وهو يمزح مع السائقين ، قال أحدهم بنبرة حسد صفراء هزت أعصابه ..:

- عجلك يا عم ماشيه معاك .. تلاقيك عاملك أربع فرد من بره بره قبل ما تدخل الموقف .. !!

استعاذ في سره ..:

- أعوذ بالله من القر الدكر .. احفظنا يا رب ..!

وأضاف راكب من الناجين .. عندما انطلق بنا الميكروباص في سرعة الريح ، بدأت نغمات الموسيقي تنطلق مدوية من الكاسيت وصوت المطرب الشعبي يحرك الوجدان ، راح السائق يتمايل طربا ، ويردد كلمات الأغنية في نشوة السكارى ، بينما تأففنا من حشر هذا العذاب المكتوب علينا ، ودعونا الله أن نصل بالسلامة ، وينجينا من عذاب الزحام .

(في تلك اللحظة تغني حسن المغنواتي بسيرته على المقهى بموال آدهم الشرقاوي)

" ومنين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه ،

الحادثة اللي جرت لسبع شرقاوي ،

زينة الرجال ، أهل البلد حسدوه .. "

واستطرد الرواة للحادثة .. فجأة ظهرت سيارة نقل خرجت من تحت الأرض محملة بالطوب الأحمر ، اعترضت الطريق ، ووقع المكروه .. ارتطم الميكروباص بالسيارة النقل ،

أحدثت دويا ، خرج على أثره سكان القرية الواقعة بالقرب من الطريق لعمل الإسعافات الأولية ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الركاب ، إلا أن روح (عبده) فاضت إلي بارئها ، تكومت الجثث ، غرق الجميع في بركة من الدم .

طار الخبر .. نزل كالصاعقة على أهالي (المخروبة) على حد قول (نفوسة العمشه) التي اشتهرت باللت والعجن في الكلام ، بعدما هجرها رجالها وشبابها ، ولم يبق سوي النساء ، والعجائز والأطفال يسكنون بيوتا حجرية ، شيدت في الأرض الزراعية ، وباتت العزبة تعتمد على القرى المجاورة في الخضراوات والطيور ، وشراء الخبز من أفران المركز .

❖❖❖

مع مشارف المغربية نزفت الشمس دمها وأغرقت كل شئ ، غابت في الظلام ، حتى اصطبغت جلابيب النسوة بالسواد ، وهبت موجات متلاحقة من الصوات ، والعويل والنواح والطبل ، حملوه على الأكتاف وأسرعوا به نحو الجبانة ، تتخطفه الأيادي .. رحمة بـ (عايشه) التي ماتت حزنا ، بعدما أصرت على بقائه حتى يحضر أخيها الكبير من البندر .. إلا أن الشيخ يونس قال ..:

- إكرام الميت دفنه يا ناس ..!

وقال أحد النجباء ..:

- الصباح رباح .. النهار له عينين .

وولولت النسوة ..:

- روح أمك يا ضنايه والنبي جدع في عز شبابك .. !
- الوليه قلبها حيتقطع على ضناها .

عادوا محزونين ، انفرط الجمع فرادى ، إذ أوي كل فرد إلى داره ، سادت لحظات من السكينة ، فأرهق النوم الجفون ، واستسلمت الأبدان للراحة ، إلا أولاد الليل الذين هجموا على دار (أبن نفوسه) وحملوا ما خف وزنه وغلى ثمنه ، وطار البوم والخفافيش فوق الخرائب ، ونقت الضفادع في البركة حتى حلق على البيوت صوت (الشيخ يونس) من ميكروفون الجامع (الصلاة يا مؤمنين الصلاة .. الصلاة خير من الدنيا وما فيها) فطلع نور الصبح ، وحامت الغربان ، نعقت في السماء ، واستيقظت كائنات النهار وسعت في الأرض ، فراح الصبية يلعبون في الوسعاية أمام دار خالتي عايشه .. بينما الولد (عبوده) أبن عبده الصغير ، يركب فوق دريكسيون كومة الصفيح المتبقية من الميكروباص ويسوق والأولاد من وراءه يضحكون .. بيب بيبــــ

أحــلام أبـو صـفـارة

وقف في وسط الطريق .. العربات تتزاحم صفوفا وصوت الكلاكسات يعفر الجو .. أشار بيديه شمالا ويمينا رافعا قدمه اليمين للخلف .. حجل في الهواء .. نفخ في صفارة لامعة معلقة في رقبته .. وقف أمام جموع السيارات في قلب الشارع الذي أصبح خلية من الكائنات الساخطة على المتسبب في هذا الزحام وعسكري المرور الواقف لا حول له ولا قوة _ كأن ما يحدث أمامه لا يعنيه _ " أبو صفارة " يقلد حركات يديه معترضا السيارات في جلبابه الكالحة التى تبدو كأنها مستودع من القمامة ، يعف عليها أسراب الذباب .. شعر رأسه المنكوش بدا خيوطا من الليل الحالك .. هز كتفيه منظما حركاته مقلدا الخطوات العسكرية .. ضرب قدماه في الأسفلت ، ناظرا في المدى البعيد ، وشمس الغروب تغطس في قاع النهر " بم ..را بم .. بم را بم ..را.. بم "

وقف وعظم في ثبات الواثق لرجل يعبر الشارع .. تعالت سحابات الضوضاء .. تساقطت بوابل من عبارات السخط ..:

_ الله يلعن أبو أم المجانين إحنا ناقصين لحست عقل ..!!

_ ربنا يشفي عباده ويزيح عنه .. قادر يا كريم ..!!

نظر حوله فوجد دائرة من الناس قد أحاطته .. صرخ فيهم فهرولوا مسرعين خوفا من أن تنال أحدهم ضربة من كف يده

المفلطحة ، التي لو هبد بها أحد منهم كفا لأسقطه أرضاً .. بإشارة سمح للسيارات بالمرور في انتظام وهوادة ..:

تطايرت الكلمات من بين شفتيه ، وبانتكاسة المهزوم قال ..:

_ اصحوا يا عالم ، فوقوا يا خلق .. الطوفان جاى .. !!

وجرى مخترقا الزحام ، رافعا ذراعيه للسماء .. اهتزازات قطع النحاس المعلقة في رقبته الطويلة تشبه الأجراس في رقبة الحصان الذي يجر العربة (الكارو) المارة فى الجهة الأخرى من الطريق الموازى لكورنيش البحر ، منكسا رأسه بعدما انهال عليه (العربجي) ضربا بالكرباج مما دفعه للثورة والهياج ، ضاربا بقدميه الأماميتين في الأرض ، معلنا عن غضبه ورفضه بصهيل هز منطقة الكورنيش وما حولها .

مؤكد أن هذه النياشين العسكرية تكريما له لشجاعته ودوره البطولى الذي تحدثت عنه وسائل الإعلام أثناء المعركة ، وما حدث له من انتكاسة نتيجة فقده لأصدقائه في الوحدة ، ما رآه في الحرب لا يمكن لعقل أن يستوعبه ، كم من الضحايا فقدوا عقولهم في الحروب ، ملعونة في كل زمان ، لا تترك وراءها إلا الدمار والخراب ..!

❖❖❖

زام وجن جنونه عندما حوطوه بضحكاتهم الساخرة ، بانت (زرابينه) شاخطا في جموع الناس الذين امتلأ بهم الميدان ، حاول أحدهم التخفيف عنه بالطبطبة علي كتفه لتهدئته إلا أنه انقض عليه في هستريا وأطبق في " زمارة " رقبته الطويلة حتى خلصوه الناس من بين قبضته .. بانت الخرابيش مشتعلة بحمرة قرون " الشطة " السوداني ، وسال الدم على اثر قطع الجلد بأظافره الحادة ..

تبعه سائق سرفيس بشخرة وغنجه أفزعت المتزاحمين حوله ، عندما ضرب فرملة مفاجئة كومت الركاب فوق بعضهم ، مما جعلهم ينزلون ساخطين على السائقين في المدينة الذين أصبحوا لا يخشون رجال المرور بعدما عرفوا " الفولة " أطعموا الفم فاستحت العيون ..!!

واكتفوا بالتعبير عن غضبهم وسخطهم بعبارات هامسة ، خشية قلة الأدب والبهدلة من السائق ... :

_ ملعون أبو اللي علمك السواقه .. !!

_ والله اللي ادالك الرخصة حمار .. !

اقترب من " الميكروباص " مطلا من النافذة المفتوحة على كومة اللحم من الخلق الذين اضطروا لتحمل الزحام رغما عن أنوفهم ، قهقه فاتحا طاقة مظلمة بانت منها أسنان تفحمت ،

وأكلها السوس ، بدت كصفوف من العبيد صبغها الكيف ودخان السجائر ، وصفرة سهرات المزاج مع شلة الأنس من الشحاتين والهنجرنية ، لم يبق في فمه سوي بعض جذور تائهة في اللثة ، ضحك وصفق وصرخ .. :

_ اصحوا يا عالم ، فوقوا يا خلق .. الطوفان جاى ..!!

جري نافخا في الصفارة .. أشار للمارة بالوقوف .. لم يعيروه اهتماما ومروا عابرين الشارع مسرعين خوفا من السيارات المتدافعة في عشوائية ، صرخ وصوت مثل النسوة .. رفس بقدميه ، وطوح رقبته يمينا ويسارا .. بربش بعينيه ناظرا في ضوء الشمس الواهن وعبر إلى الرصيف ، انتابته حالة من الهدوء متمسحا بأحد الواقفين أمام (سوبر ماركت) بدا كقط يتمسح بصاحبه ، اتجه ناحيته في عفوية ، ضاربا له تعظيم ، ارتمي في حضنه وقبله .. :

_ وحياة أبوك هات شلن .. !

ضحك وهرش في قفاه ، بحركات بهلوانية .. تجمع حوله العيال الذين يعملون في المحلات المجاورة ، يزغزغونه ، فقفز في الهواء عاليا " اركب الهوا " .. قال أحدهم .. :

_ صور يا محسن وأنا اديلك شلن .. !

أقترب منه متوددا .. :

_ هات شلن يا رب يخليك ..!

نظر في عيون الواقفين حوله ، وتكور على نفسه خجلا في استحياء محاولا إخفاء قدميه المتشققة التي تشبه خف الجمل ..:

_ لأ عيب .

كشفوا عورته بعد أن تكاثروا عليه .. بللت الدهشة الجميع .. :

_ ياهوووه إيه ده ياله يخرب عقلك كل ده .. !

وقال آخر.. :

_ عايزبن نجوزك ياوله 0

صرخ باكيا وشد الجلباب بعنف فانقدت . كشفت عن بنيان فرعوني كأنه عملاق فى صورة بنى آدم . خطف كومة الهلاهيل . وراح يوارى جسده من النسوة اللاتي يتنهدن خفية . وهن يتطلعن بشغف أنثوي مقنع باستحياء وخجل يوارى الوجوه المحمرة من شدة حرارة الصيف .

جرى مخترقا الزحام كحصان هائج . متجها ناحية الكورنيش ومن ورائه العيال الصغار يلاحقونه فى زفة كبيرة محاولين شد الهلاهيل من فوقه وتعريته إلا أنه صرخ بكل ما أوتى من قوة . وتوسل لهم أن يعتقوه لوجه الله ..

(لأ .. عيب)

استدار إليهم واستوقفهم صفا واحدا . آمرا إياهم ..

_ انتباه .. على اليمين حدا .

ضرب بقدمه فى الأرض وحياهم تحية عسكرية نفخ فى الصفارة بقوة . ووقف معظما .. استجابوا له خائفين ..

_ علينا أن نستعد جيدا للمواجهة .. المهمة صعبة اصحوا بقه و فوقوا .. الطوفان جاى .. !

ضحكوا ساخرين وهو يمر من بين الصفوف الواقفة ..

_ احنا ناقصين لحسة عقل . كفاية اللى احنا فيه .. !

أشفقت عليه امرأة .. :

_ الناس جرى لها إيه يا خلق هوه ما عدش فيه أخلاق ولا رحمة فى الدنيا .. !

خلصته من يد الصغار الذين يحوطونه فمر مسرعا ، أطلق نفسه للريح وهو ينفخ فى صفارته ... تـوووت .. تـوووت

فى إشارة المرور الحمراء اقترب من سيارة يقودها أحد الشباب الخنافس .. مد يده ناحيته ..:

_ وحياة أبوك هات شلن .

فأعطاه سيجارة من علبة المارلبورو ، علقت البنت التى بجواره وهى تتمايل على نغمات موسيقى الديسكو الصاخبة فى نعومة أنثوية مبالغ فيها .. :

_ ابسط ياعم ، اتكيف وهيص .. !

علق أحد المارة وهو يطل عليه من فوق الرصيف .. :

_ سبحان الله مين يصدق إن ده كان فى يوم من الأيام بطل من أبطال الحرب .. معقول يا عالم يصبح ده حالهم .. من ساعة ما خرج من الخدمة واللى جرى له جرى له.. !!

جرى ناحية البنت (حورية) الجالسة على الرصيف فى الجهة الأخرى للشارع ، وهى التى بالنسبة له ست الحسن والجمال ، انشرح قلبه ، ولم ينتبه للسيارة "المرسيدس" التى كادت أن تدهسه لولا ستر ربنا ، وسبته المرأة الجالسة بجوار سائقها .. :

_ مش تفتح يا حلوف .. هوه حصل إيه الناس ماشية سكرانة .

وقف فى وسط الشارع المزدحم بالناس مرددا عبارته .. :

_ اصحوا يا عالم ، فوقوا يا خلق .. الطوفان جاى .. !

ونفخ فى صفارته متجها إلى البنت (حورية) التى تسكن الرصيف ، وتبيع المناديل الورقية ممسكا يديها بحرارة المشتاق لمحبوبته ،

اخرج من جيبه المنتفخة حصيلة يومه و أعطاها إياها ، ودعها بابتسامة متبادلة . فطار من فوق الأرض مخترقا زحام السيارات و صفارته بين شفتيه ينفخ فيها ، صوتها يخترق سماء المدينة تـوووت .. تـوووت ...

طائر الحزن الجميل

الحزن بان في العيون ،
غرق قلوب الناس ،
لحظة ماشفتك فوق كتاف الخلق ،
ملفوف فى كفن النهار ،
خرت دموع الشمس ، صهد يكوى الخدود ،
تتخفى أشجار الكافور فى عفار تراب السكك ،
ونواح نسوان البلد في جلابيب السواد ،
حملوك على الأكتاف ...
طاير كما النسمة لقبرك المفتوح ،
طاقة نور تغسل قلوب الخلق ،
وتوحد المولى الكريم ...
(وحـدوووه)

حزين أنت يا أبن أم منذ ابتليت في الصغر ، عشت في زمنٍ لا يرحم ، وأناس يجرون وراء لقمة العيش ..

أنت وحدك تتخطفك الأكتاف ، يا طائر النورس الحزين ، الطيور ترحل للجنوب ، تنعى من كان يخرج في الصباح يغرد فوق شجرة الكافور .. يفرد كفيه لحبات الندي ، ملتفا في بياض جلباب

النهـار ، وبنـات الحـور يـدقون دفـوف الزفـاف للعـريس .. أفـواه تساندني بهمس مواساة وجبر خاطر ..:

- شد حيلك .

مثقـل بالتعب ، انحشرت داخل الحجرة وحدي ، يأتيني طيفك ، يزيد من همي ، انفض عن نفسي بقايا التراب المغبش فوق كومة الأوراق ، تتسرب رعشة لأطرافي السفلية الباردة نافخا في هشاشة الملح ، التي خلفتها الرطوبة ، وأحس بتنميل الوخم ، مملوء الجفن بنوم الكسل ، وتثاءب يهد الحيل ، يذرف دمع الحنين لعطر الصبا ، والقرية البعيدة تداعب مخيلة الأحلام ، وهياكل بشرية تطوف فوق نافذة القطار في عتمة شبورة الصباح ساعة الوداع الأخيرة .

ألقـي بجسـدي فـوق الفـراش بحثـا عـن لحظـة تـريح الأعصاب المتوترة ، شارد الذهن وأنات التوجع .

ربما تعبت وأعلنت الرحيل ، وليت ظهرك للحياة دون أن تشير محبوك ، لم تقصد أن تترك لهم وجع القلب ، أجهضت جنين التمني ، وأوقع الخبر شيطان رجيم هز مملكة النوم بنوبة صحيان فجائية ..

قالت الجارات اللائى يتشحن السواد ..:

- جدع يا قلب أمه راح في عز شبابه ..!!

وينُحن مع عديد الجدة التي أغرقت الدار بالدموع ..:

" قنديـل منور انطفي ضيه

سوق البحيرة ما التقاش زيه

قنديل منور وانطفي نوره

سوق البحيرة ما التقيت غيره "

حرام عليك يا أخويه تتركني وحداني ، وتسافر بعيد ولا ترجع لي تاني ، حملوك على الأكتاف زي الحمام طاير ، عصافير بنات الحور تغني حلولك ، والطبل داير في البلد ، وصوت نواح النسوة .. والريح تصفر في الوسع ..:

- مع السلامة يا ضنايه .

- مات الولد ضي نور العين .

أراك يا حبة القلب ، يا روحا تهيم بين الشواطئ ، راكبا فوق الكتفين ، تهزهز قدميك فوق قحف النخيل ، ترمح في الشوارع ، تبارز عيال القرية الكبار والصغار ، تصبر على ما ابتليت به من عجز مرتديا ثياب أبو الفوارس ، تقهر المارد في حكايات الجدة وشاعر الربابة ، وأمك تداعب شعرك بأناملها ، تقول متنهدة ..:

- قلبك ميت يا مضروب زي المرحوم جدك ..!

❖❖❖

تري هل تسمع هذه التراتيل يا أبن أم ..؟!

آيات من كتاب الذكر الحكيم ، يتلوها عليك سيدنا الشيخ ، تكون سندا لك في وحدتك ، الآن أضمك إلي صدري ، وأري الفرحة في عينيك يوم ختمت القرآن الكريم في العاشرة من عمرك أذهلت

الشيخ (حسان) في الكتاب ، وراح يحكي عنك في قعدات الرجال ، فخافت الأم ، وشهقت في عيون النسوة اللائى صوبن العيار ، وصارت صحتك في النازل .. تسمم البدن بمغص ينهش المصارين ، وكرشة نفس بنوبات حشرجة ، ترسبت فوق الشفاه ، طبقات ملح جيرية وغرغرة شهقة طلوع الروح .. تلجم الجميع ببلاهة الصدمة .. زلزلوا بعويل الندابات ...

" لوما شبابك ما بكيت لي عين

شبابك عدم والقي مثيله فين "

ونواح الطيور فوق تكعيبة العنب ، وهدهد ينقب في التراب تحت سور الحوش ، تصنع من قطعة الطين عرائس ، وتهمس للشمس أن تهبهم روح الحياة .. كفك المطبوع بدم الذبيحة على باب الدار .. هلال وخمسة وخميسة .. حددت مواسم الرحيل ، وطالت اللحظات حين أدخلوك دارك الجديدة على تلاوة سيدنا ، فاختنقت الدموع ، وحلقت النوارس ، فاضت تراتيل القلب حسرة لتملأ أكواب الشاي بتفل الملل وشفطات التحسر والعزاء ...:

- الله يرحمه برحمته ويسكنه فسيح جناته .

فاضت الآهات وزغلل الحزن العيون ....

قفزة ثقة

خرجت إلى الشارع بعد أن ازدادت حدة التوتر والقلق مع ارتفاع درجة حرارة الصيف ، كنت أظن أنه يمكن للإنسان العيش وحيداً ، إلا أن حالة الخمول التي سيطرت عليَّ جعلت الأصدقاء المقربين ، ينفضون عن جسدي النحيف ، ما تبقى من إشعاعات الأزمة التي تفشت بسبب خلافات في الرأي ، وصراع القوي في العالم .

أيقظني صوت صديقي من غفوتي قائلاً :

" مش أمريكا احتلت العراق ، لقد دخلوا بغداد بأسهل مما كنا نتوقع ، يبدو أن هناك خيانة وقعت ..!"

نظرت إليه بدهشة ، وقد أربكتني الصدمة :

" الدولار يا عزيزي .. معلون أبو أم الخيانة .."

واستدركت متسائلاً :" وقبضوا على صدام حسين ..؟!"

باغتني برده السريع :

" لسه .. قالبين الدنيا عليه بعد أن أختفي زي فص ملح وداب !!"

- بيقولوا إنه ساكن في قصر تحت الأرض ..

- كل شئ ممكن في هذا الزمن .

بدأت الأفكار تنقر في رأسي ، وخرجت إلى الشارع ، محاولا التغلب على كرشة النفس التى خنقتني ، لكن شيئاً ما جذبني للداخل فتراجعت ، تحفزتُ لممارسة طقس كنت قد نسيته

بعد أن هجرتني العبارات المرتبة .. لكن شيئاً ما أجلسني وبدأ يراودني بومضات متقطعة جعلت الصداع يزيد حدة التوتر ، فاغرق العرق مناديلي الورقية بنزلة برد دغدغتني .

- ما خلصناش من قضية احتلال فلسطين .. كمان العراق ، يا تري بكره الدور على مين ..؟

راودتني الأفكار متلاحقة ..لا أدرى كيف أطوع نفسي لكتابة ما يدور بعقلي ، لم يكن لدى أي ميل لذلك ، إلا أن رغبة في القراءة استحوذت عليّ ، دفعتني إلى التهام " البومة العمياء " بكوب من الشاي ، وقرص " أسبرين " كان له مفعول السحر من يد صديقي الذي يودني .

بمجرد شعوري بتحسن نسبي ، امتطيت الصمت ، كانت تبدو ليّ الدنيا طوع أمري ، إلا أن النزاعات والخصومات التي تفسد ما بين الأحبة ، جعلت كذابين الزفة ، يلصقون الاتهامات دون مراعاة اللياقة الكلامية واللباقة الإبداعية مستغلين بعض خلافات طفيفة في الرأي تصيدوها لتزداد الفجوة اتساعا .. أغلب الظن أنهم مأجورين من قبل البصاصين .

تسـرب إليَّ شـعور بالنشـوة ، غـردت بلابـل القلـب المثقـل بالتعـب عنـد رؤيـة فتـاة جميلـة ، أخـذني عـبير عطرهـا في نشـوة غامرة .

أيقظني صديقي السائر بجواري من غفوتي ، قائلاً ..:

- أنت تحتاج لعصفورة تفرج عنك ..!

قلت ..:

- صحيح .. من المؤكد أنني الآن على هامش الحياة ، لا يربطني بها سوى علاقة بسيطة أساسها التعايش السلمي مع الناس ، لكن من المؤكد أيضا أن قفزة ثقة نحو مشروع جديد ، تؤكد أنني أعيش هذه الحياة الرتيبة ، ورحت أغازل الفتيات في الطريق بعد أن تملكتني نشوة البحث عن رفيقة الحياة .

العـوض على الله

أخيرا لجأت إلى الحياة الساكنة ،

شعرت بالتحرر وراحة البال ،

ثمة قشعريرة تملكتني بعدما شاهدت فيلما بعنوان (زفة عشاق الحور) عبر شبكة الإنترنت عن شهداء المقاومة العراقية ، وما يبذله الفدائيين في سبيل تحرير تراب أرض الرافدين ، هزتني كلماتهم المفعمة بروح التضحية ، وهم يسارعون لنيل الشهادة ، وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامة عند ملاقاة حور العين في السماء .

قال صديق مندهشاً :

" سبحان الله .. شايف ميت وبيضحك ..!!".

- فرحة الشهادة في سبيل الله والوطن .

ولما خرجت .. حملت ظلي من ظلمة متراكمة ، أغرقتني في الصمت ،

ووليت وجهي لشرفة الحياة ، استقبل شمس النهار ،

فعرد عصفور القلب وطار في الفضاء .

لم يكن ممكنا أن نتفق .. لكن الظروف جعلت الجميع يسلم بالأمر لعبور المحنة ، بعد أن تسربت بكتريا العفن للخلية النشطة ، فشلت حركتها عن العمل .. اتفقنا لكي لا نكون فريسة لذلك الرجل الواقف يتربص بنا .

أشرنا عليه بتوليه الأمر وقيادة دفة السفينة .. لكنه أبَى واستعصم ، وراح يحكى ما بذله من سنوات في تأسيس هذا البيت وتفاخر نافشاً ريشه ، احمر وجهه بقشعريرة الخجل ، كان وديعا وداعة النمر المتربص بفريسته وبدا عليه أنه كاره لما وكل إليه ، قال بنبرات ناعمة ..:

- ما وليت عن رغبة في نفسي ، إنما بكم سوف تعبر السفينة إلى بر الأمان ، علينا بتكاتف الجهود نحو تحقيق الهدف .

ما أن جلس حتى استأثر برأيه وتضاربت الآراء ، وبدأت تصرفاته تعبر عن مكنون رغباته ، وتفصح عما يكنه في نفسه ، وهو السيد الأعظم .

ابتلعت غيظي ، واشتعلت ثورة الكلام في صدري ، بعد أن رأيته يتطاوس على من نصبوه عليهم .. وهم من أمره يتعجبون .

صرخت في التماثيل المتبلدة العوض على الله ..!!

سيدة المدينة

ولما ضاقت الدنيا في وجهي ، أخذتني قدماي إلى الكورنيش ، وحدي جلست ، والشمس التي تغازل وجه الماء ، تبدت حبات من اللؤلؤ تشكلت حورية ينساب شعرها الليلي على ظهرها ، مندى بقطرات الماء الرقراقة ، أظهرت لي مفاتنها التي تجلت في حسنها ، دعتني إليها ، فانجذبت مستلب الإرادة ، وكنت مهيأ لغزو مدن جديدة وحب المغامرة بعد هجران البنت التي راودها القلب وراودته إلى أن أغراها غريمه المتصابي بسيارته الشبح وأوراق البنكنوت وراهن عليها في بورصة الأهل الذين فرحوا لرؤياه وعلى حد قول أمها ..:

" سعدها وهناها الذي أتاها ..! "

وحين أومأت ليّ تلك السيدة التي قعدت مكان القمر ، وتدللت على رجال المدينة الراغبون في حسنها ، مما جعل زوجها يسير بجوارها دائما مطأطأ الرأس من خزيه ، بالتأكيد لعدم مقدرته على ترويض الفرسة ، وإشباع أنوثتها الفائرة بما يتناسب من فنون الملاينة ومسك الزمام .

هي التي اختارتني عن دون البشر ، أشارت ليّ بجرأة لم اعهدها في امرأة من قبل ، بغمزة مليئة بالرغبة ، جعلتني أنسى ما تركته بنت الناس من أوجاع في القلب .. طاوعتها ، ولما اختلينا أو قدت مصابيح الرغبة في جسدي .. قالت ..:

- أنت فارسي ..

وتوسدت ذراعيها . . .

قلت ..:

- يا سيدتي لم أكن من قبل خيالا ، والدنيا لا تعطى من يرغبها ..!

وكشفت عن جسدها المرمري تحت قميص (شيفون) وردي .. استجمعت قواي ، شربت حتى تخدرت حواسي ، غصت في نهر اللذة

بعد أن رويت أعواد الريحان الذابل ، تهت في سر السرة وما أسفلها حتى أغرقتنا شمس النشوة في حضن الفراش ، ارتشفت من عطر (برفان) جسدها بياض الفل ، وغاصت يداي في شعرها الحرير ، لثمت حبتا الفراولة حتى تهت في حلاوة شهدها ، تأوهت وغنجت .. فأزهرت أشجار الدنيا ، وما أنزلني عنها غير النعاس الذي بدء يداعب جفني .. تراخت أعضائي المشدودة بعد الشد والجذب .. ونعمت بحضنها ودفء الفراش .

حين خرجت من عندها ، أسلمت نفسي للماء المنهمر من السماء ، لفحني الهواء البارد ، لملمت ما تبقى مني في ملابسي الشتوية .. حلقت في الفضاء أسابق فراشات الضوء ، الكشافات الفسفورية أغرقت الكورنيش الذى خلا من المارة ، ولم يتبق سوي ولد وبنت أسكرهما الغرام فغابا عن الدنيا ، مررت عليهما متجها ناحية الشجرة التى شهدت لقاءاتنا ، وجلست أرقب طيفها القادم من بعيد .

تحية العلم

رفرف العلم في السماء عاليا ، وحلق النسر الذهبي فوق مبنى المدرسة بعد أن انتهينا من تحيته ، وتوجهنا إلى الفصول في صفوف منتظمة على نغمات موسيقى نشيد بلادي ، فرحين ببداية العام الدراسي الجديد .

في الفصل اختار كل واحد رفيقه في الدكة ، ولأني أحب الجلوس في المقدمة ، اخترت الصف الأول بجوار الباب حتى أستطيع رؤية السبورة ، وما يكتب عليها عند شرح الدروس نظرا لقصر نظري الذي لا تجدي معه النظارة ، وسادت حالة من الفوضى والهرج وهيصنا فرحا في انتظار الحصة الأولى في الجدول ، بدأت الضوضاء تتلاشى وساد الهدوء رويدا ، نترقب مدرس الدراسات الاجتماعية هذه المادة المقررة علينا لأول مرة .. بعد قليل دخل علينا الأستاذ بملابسه المنسقة ، فساد الهدوء تماما ، دخل الفصل فوقفنا نحييه ، أشار لنا ، طارت من بين شفتيه ابتسامة صغيرة مصحوبة بتحية الصباح ..:

- صباح الخيز يا حلوين .

بادلناه التحية بعد أن شعرنا بالطمأنينة التي أكدتها نبرات صوته الضعيفة ..:

- صباح النور يا أستاذ .

أشار بيده إلي اسفل ..:

- جلوس .

جلسنا نرقب ما يكتبه على السبورة بعد أن تعرف على أسماءنا جميعا ، وكتب التاريخ الهجري ناحية اليمين والميلادي في الشمال ، وبينهما كلمة - دراسات اجتماعية – وأسفلها تحية العلم .. تعجبت متسائلا ..:

- يا أستاذ هو تحية العلم درس ..؟!

ابتسم وأشار لي بالوقوف ..:

- عظيم .. سؤال وجيه يا " حسام " كلنا نعرف إن العلم عبارة عن قطعة قماش مستطيلة متعددة الألوان ولكل بلد علمها الذي يميزها عن غيرها ولهذا العلم حكاية قديمة.

جلس تلاميذ الفصل جميعا منصتين لحديث الأستاذ " جمال " وقال " نصر الدين " الذي يجلس بجواري ..:

- ما هي حكاية العلم الذي نحييه كل صباح يا أستاذ ..؟!

جلس الأستاذ على الكرسي وبدأ يحكي ..:

" عارفين يا أولاد العلم هو رمز مصر وشعارها المقدس الذي تعرف به بين دول العالم ، مجرد أن يرفع في أي مكان دون كتابة اسمها .

وللعلم أسماء كثيرة عرف بها منها البند وجمعها البنود وهي الأعلام الكبيرة ؛ والراية وجمعها رايات وهي رايات الزينة التي تعلق في المناسبات السعيدة ؛ واللواء وهو يلوى لكبره ويفرد عند رفعه ؛ والبيرق وجمعها بيارق وهو العلم الصغير الذي يرفع على سيارات كبار الشخصيات الرسمية في الدولة مثل سيارة الرئيس التي يركبها أو الطائرة التي يطير بها أو سيارات قادة الجيوش والسفراء والوزراء ".

ولما طلت الشمس من نافذة الفصل ؛ نظرت ناحية حوش المدرسة ؛ ورأيت العلم فوق عمود الصاري يرفرف في الفضاء ؛ بألوانه الثلاثة والنسر الذهبي وقلت ..:

- نشاهد في التليفزيون العلم المصري برموز مختلفة ، ما حكاية هذه الرموز يا أستاذ ..؟

- سؤال طيب يا حسام .

واخرج من حافظة أوراقه أشكالا متعددة للعلم ؛ وراح يقص علينا دلالة كل رمز من الرموز الموضوعة فوق كل علم من الأعلام ..

- تعرفون يا أولاد أول من استخدم الأعلام ..؟

رفع تلاميذ الفصل أياديهم جميعا في حالة من الفوضى والهرج والضوضاء ...

" أنا يا أستاذ .. أنا يا أستاذ .."

مما أثار غضبه ؛ وبدت علاماته واضحة من نبرات صوته الآمرة .. وطرق على الدكة بقوة ..:

- هدوء .. هدوء يا رابعة أول .

وأشار للولد " ممدوح " في أخر الفصل ..:

- قل أنت .

زم شفتيه واضعا إصبعه على صدغه الأيمن وقال ..:

- أول من عرف استخدام العلم القدماء المصريين أثناء حروب الاتحاد ؛ لتوحيد مصر العليا والسفلي قبل حكم الملك مينا .

ولما أكد الأستاذ على صحة المعلومة التي قالها " ممدوح " راح يوضح لنا مراحل انتشار العلم المصري على مر التاريخ قائلا ..

-" بعد أن عرف الفراعنة العلم انتقل إلى بلاد العالم وتحول من ميدان المعركة إلى الميادين الأخرى وتطورت أشكاله باختلاف العصور ما بين الأسود والأخضر في العصر الحديث مع ثورة 1919وكان عليه رمز الهلال والصليب تأكيدا لرمز الوحدة الوطنية إلى أن تطور العلم بلونه الأخضر بعد سقوط الملكية وقيام ثورة 23يوليو 1952وإعلان الجمهورية في 18يونيو 1953بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ثاني رئيس بعد الرئيس محمد نجيب ، وتبدل رمز التاج إلى هلال وثلاثة نجوم

بيضاء حتى ظهر علم التحرير ، بمستطيلاته الثلاثة ذات اللون الأحمر والأبيض والأسود ، وأصبح علم الدولة الرسمي في فبراير 1958؛ عندما نشأت الوحدة بين مصر وسوريا مع إضافة نجمتين خماسيتين خضراوين في المستطيل الأبيض ، وهو علم الجمهورية العربية المتحدة ؛ وأضيف له نجمة ثالثة عندما انضمت العراق إلى الاتحاد في أبريل سنة 1963إلا أن مشروع الوحدة لم يتم ؛ ومع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا في ديسمبر 1971تم تغيير النجمتين إلى صقر ناشرا جناحيه كتب تحته دولة الاتحاد على قاعدته وكل دولة من دول الاتحاد تكتب اسمها اسفل اسم دولة الاتحاد وفي أكتوبر 1984انسحبت مصر رسميا من اتحاد الجمهوريات العربية ووضع مكان الصقر نسر كتب على قاعدته بالخط الكوفي جمهورية مصر العربية ...

كنا نستمع لحديثه في إصغاء تام مما جعله يكمل حكايته التاريخية عن العلم وأضاف .. :

- " أما بالنسبة يا أولاد لرئيس الجمهورية فله علم آخر باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة هو نفس العلم الواقف هناك في وسط الحوش والذي نحييه كل صباح مضافا إليه شعار القوات المسلحة وهو السيفين المتقاطعين أسفل شعار الجمهورية في

الطرف الأيسر العلوي للعلم ؛ وهكذا يا أولاد انتشر العلم وصار رمزا للانتماء والوطنية ، وتعددت أشكاله المختلفة وأصبح من حق أي هيئة أن يكون لها علم ترفعه على مبانيها بجوار علم الجمهورية ، واتخذت كل محافظة علما لها يدل على ما تتميز به ، وتعددت أعلام الأسلحة في القوات المسلحة ، وظهر للشرطة علمها الخاص وبعض الهيئات التي اتخذت لنفسها علما وشعارا يرفع على مقارها وفي المؤتمرات الدولية مثل جامعة الدول العربية ومنظمة الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر الدولي .

كنا نجلس فرحين بما نسمعه من معلومات جديدة نعرفها لأول مرة ، وازدادت رغبتي في تأكيد عادة جمع الطوابع التي أقوم بجمعها بعد نزعها من فوق أظرف الخطابات وتبادلها مع الأصدقاء ؛ وقررت أن اضيف إليها هواية أخري وهي جمع أعلام البلاد والتعرف عليها ، وسألت البنت " هند " الجالسة في الصف الأوسط الأستاذ..:

- ألا يوجد اسطوانة كمبيوتر عليها موسوعة أعلام البلاد يا أستاذ حتى أستطيع أن أغذي بها جهاز الكمبيوتر الخاص بي .

وسأله " أحمد " الجالس خلفي في الصف ..:

- لماذا لا توجد مثل هذه المعلومات على أجهزة الكمبيوتر الموجودة في حجرة " مناهل المعرفة " يا أستاذ ..؟!

أجاب على الفور ..:

- سوف انقل هذه الرغبة إلى مدير المدرسة وقريبا سوف يتم تغذية الأجهزة بكافة المعلومات والموسوعات العلمية والتاريخية ولكن أحب أن أضيف إلى معلوماتكم معلومة أخري عن أهمية رفع العلم وتحيته ؛ فرفعه فوق أي منطقة يؤكد على تبعية الأرض للدولة واستقلالها وخير دليل على ذلك ما حدث في حرب السادس من أكتوبر سنة1973 وما حدث فيها من استعادة الكرامة وعودة أرض سيناء إلى حضن الوطن بعد نكسة 5 يونيه 1967 وما تشاهدونه في التليفزيون لصورة الجنود المصريين يعبرون قناة السويس في شجاعة ؛ وصورة الجندي المصري الذي رفع العلم على أول نقطة للعبور فوق الضفة الشرقية للقناة ؛ حيث أقيم نصب تذكاري لأول جندي رفع العلم في هذه المنطقة ؛ وسوف نقوم برحلة إلى هذه المنطقة خلال العام الدراسي ، ومنذ هذه اللحظة بدأت مسيرة التنمية تحت راية السلام ، وتعمير الصحراء .

ولما دق الجرس معلنا نهاية الحصة الأولي التي تمنينا من قلوبنا ألا تنتهي لحديث الأستاذ الذي قام يلملم أوراقه المفرودة فوق الدكة وهو يعدنا بتغذية أجهزة الكمبيوتر بموسوعة تاريخ مصر

القديم والحديث مؤكدا على استكمال الدرس في الحصة القادمة

ولما خرج من الفصل ؛ قمت وراءه إلى الطرقة المطلة على حوش المدرسة ؛ انظر العلم الواقف فوق عمود الصاري والنسر الذهبي يرفرف محلقا في السماء عاكسا خيوط الشمس الذهبية ، وقفت فاردا طولي في وضع انتباه ؛ ناظرا ناحيته معظما بكف يدي اليمني فوق جبهتي اليمني ؛ ورحت اردد تحية العلم .. تحيا جمهورية مصر العربية

وصوت تلاميذ المدرسة يهز الأرض مخترقا الفضاء الكبير ..

تحيا جمهورية مصر العربية ..

أبـنـاء الـنـهـار

" إلى روح الشهداء الطاهرة ،
الذين ضحوا في سبيل تحرير تراب الوطن "

جسدٌ أعياه التعب،
وأسكنه سرير المرض، فسكنت الروح،
غسلته ملائكة الرحمة، وتطيب بالنور.

عرفته بعد نهاية المعركة، عندما التقيت به على صفحات الصحف، ورأيت صورته في زيه العسكري والخوذة فوق رأسه، يعتلى دبابة من دبابات العدو التي يدهس عليها (بالبيادة) فى ذل وخضوع، يحضن سلاحه (فهد) الذي أظهر قدراته الفائقة في التنشين على الهدف واصطياده، شعرت بالفخر واعترتني رعشة وحنين لملاقاته، ولم تفارقني كلماته التي طالما، تزودت بها كلما لحقت بي شدائد، وحالة اللامبلاه التي سادت بين الناس.

منذ هذه اللحظة نشأت علاقة حميمة بيننا، تمنيت ساعتها أن أكون بجواره في الميدان، لكن كيف وأنا مازلت صغيرا، لم ابلغ من العمر مرحلة الشباب، التي تسمح بتجنيدي حتى أنال شرف الدفاع عن بلادي وتحرير أرض سيناء من يد العدو، وتذكرت من ذهبوا إلى الجيش ولم يعودوا، إلا أن صورته تعلقت في الذاكرة، وظلت تراودني شخصيات صناع النصر، وكلما هلت ذكري 6 أكتوبر شدا الراديو بالأغاني والأناشيد، وعرض التليفزيون

مقتطفات من الحرب ، لدرجة أنها كل عام في تناقص مستمر ولا اعرف سببا لذلك .

❖❖❖

عندما التحقت بالخدمة العسكرية ، تلقيت فترة التدريب صرنا جنودا ، وتحملنا مسؤولية الدفاع عن الوطن ، ومرت الأيام الحلوة رغم قسوتها تاركة علاقات وأصدقاء .. عشت معهم تحت سماء سيناء الحبيبة ولا أنسى يوم عبورنا فى المعدية .. اهتززت من داخلي كم كنت في اشتياق لهذه اللحظة ، وتخيلت نفسي والجنود يسجدون على رمال الضفة الشرقية للقنال ، استقبلنا الصول عبد الكريم المسئول عن مكتب التخطيط في الكتيبة وسألنا..:

.(مين فيكم خطه حلو ..؟!)

أخذتني الحمية وانسحبت من لساني ، كمن ينتظر هذا السؤال بفارغ الصبر هربا من أشغال أخرى تسند للعساكر المستجدين .. واتخذني معاونا له في شئون المكتب ، اسند لي أعداد خطة التدريب الشهرية ، وعمل اللوحات الإرشادية ، والخرائط السرية وغيرها من أمور وفقا للتعليمات ، لم تفارقني عادة حب الاستطلاع وتعلقي بقراءة الكتب والاطلاع ، قمت باستغلال أوقات

الفراغ القليلة وتصفحت ما في المكتبة من كتب ، تتعلق بفنون القتال ، وتاريخ الفتوحات الإسلامية ، ومعركة حطين ، وعين جالوت ، وبعض كتيبات أعدتها الشئون المعنوية عن أبطال حرب 73 ووجدته أمامي يلاحقني كظلي ، (صائد الدبابات) رقيب أول مجند محمد عبد العاطى عطية شرف ، مواليد 15 نوفمبر 1950 ، بقرية شيبة قش مركز منيا القمح ، تصفحت الصفحات القليلة المكتوبة عنه وحفظتها عن ظهر قلب ، لا أعرف سببا لتعلقي به ، هل لأن اسمه مثل اسم عمي عبد العاطى الذي فُقد في الحرب وانقطعت أخباره ..؟ تملكتني تساؤلات الحيرة بعدما استرجعت ملامحه في فترة المعركة .. لكن كل شئ يهون في حب مصر .

ترى هل مازال بنفس الحماس والقوة التي ظهر عليها كجندي شامخ قوى البنية ، يتباهى بما حققه من نصر ، واستعادة للكرامة مع هؤلاء الأبطال الذين سجلوا أسماءهم بحروف من نور في صفحات التاريخ ، أم أن السنوات تركت أثارها عليه وأسقطت من ذاكرته التفاصيل التي حكاها لي من قبل ..؟

بالتأكيد سوف تكون الفروق طفيفة بحكم السن ، لكن من ضحوا بأرواحهم لا يمكن أن ينسوا ، ما تزال روح الانتماء تسرى في عروقهم مسرى الدم ..!!

❖❖❖

وكنت شغوفا بالبحث عن أبطال أكتوبر لما يمثلونه بالنسبة لي ولأبناء جيلي من قدوة ، جعلتنا ننعم بنور النهار الجديد ، بحكم عملي كمحرر في قسم التحقيقات في الجريدة التي اعمل بها ، اقترحت على رئيس القسم عمل تحقيق عن (أبطال أكتوبر أين هم الآن..؟). خططت للموضوع ودونت عدة أسماء وضعته على رأس القائمة ، وجهزت نفسي لرحلة البحث مستعينا ببعض المعلومات التي جمعتها عن كل شخصية ، والكاميرا والتسجيل ،عليَّ أن أسجل هذه المرة بالصوت والصورة معا .

بالطبع لا يمكن نسيانه ، من قبل أجريت معه حوارا أثناء حفل أعدته محافظة الشرقية لأبطال أكتوبر ، ومازال صوته مسجلا على شريط الكاسيت الذي احتفظ به ، زادي الذي أتزود منه وقت الشدائد ، لكن كيف الوصول إليه الآن ..؟

مرت ذكريات رحلة البحث الأولي مع نزولي (منيا القمح) سألت الناس عن كيفية الوصول إلى قرية (شيبة قش) التي أنجبت ابناً من أبناء النهار الذين أزاحوا ظلمة ليل الحزن ، ودلوني على موقف للعربات نصف نقل تنقل الأهالي إليها ، وانحشرت في علبة السردين محاولا ترتيب أفكاري ، وأهم النقاط التي سوف أقوم

بالتركيز عليها في حديثي معه ، ودوت كلماته التي حكاها عن قريته :

-[........ في أول أجازه بعد نهاية الحرب فوجئت عند دخولي البلد الأهالي متجمعين وكأنهم كانوا منتظرين مجيئي ورفعوني على الأعناق ولفوا بيه كل مكان في زفة كبيرة ، واعتبروني بطلا قوميا..]

عند نزولي القرية بدت عليها معالم المدنية واضحة ، البيوت الحجرية بالطوب الأحمر ، انتشرت في شوارعها ، وكافتيريا يجلس عليها بعض الشباب ، يلعبون الدومينو ، توجهت إليهم وسألتهم عنه ، نظروا إلى بعضهم البعض في بله دون أن يجيبوا عن سؤالي وأكدوا عدم معرفتهم به ، انصرفت متجها نحو سيدة عجوز تجلس أمام دار طينية قديمة ، مازالت معرشة بالقش وأعواد الحطب وسألتها عنه فقالت ..:

- ياه يا ابني أنتو لسه فاكرين عبدالعاطى فين من أيام الحرب .. بيقولوا دا ساكن في البندر عقبال أملتك ومعدش حد بيشوفه من زمان إلاّ في المناسبات .. الدنيا يا ابني لهت الناس وتوهتهم .. ؟!!

ونادت على طفل صغير يمر في الشارع لحظتها ..:

- وصل الأستاذ لدار خالتك حميدة يا نور عيني .

اقتربنا من إحدى البيوت في وسط البلدة ونادى الولد على صاحب له يلعب أمام الدار..

- واد يا عبد العاطى فيه واحد عايز ستك يا وله .

قبل أن ينهى كلامه خرجت امرأة متشحة بطرحة سوداء مرتبكة نعم يا ابني أي خدمه ..؟!

- بسأل عن الأستاذ عبد العاطى أخوكي يا حاجة .

- عبد العاطى أخوية ساكن في المدينة ، مستوظف في الزراعة .

توجهت إلى (منيا القمح) مستكملا رحلة بحثي عنه ، بعد جلسة ترحاب وضيافة من الحاجة (حميدة) وعائلتها علمت من ابنها الكبير أن خاله يعمل في الإدارة الزراعية.

سألت أحد المارة عند خروجي من المحطة ، توسمت فيه معرفته طريق الإدارة الزراعية ، إلا انه أومأ برأسه دون أن ينطق .. لاحقني رجل في جلباب ريفي متسائلا ..:

- بتسأل عن إيه يا أستاذ ..؟!

- الإدارة الزراعية .

أشار إلى مبنى قديم ..:

- هناك .

شكرته متجها ناحيته بخطىٍ مسرعة وكلي لهفة وشوق إلى لقائه ..

- ترى ماذا سيقول بعد هذه السنوات الطوال ..؟

هل هناك الجديد عن المعركة لم يفصح .. من المؤكد أن رؤيته للأشياء اختلفت ؟!

أخرجني من حيرتي رجل يجلس في طرقة الممر المؤدي لحجرات المكاتب .. بدا عليه من جلبابه وهيئته أنه عامل من عمال المصلحة القدامى ..:

- يا ترى يا عم الحاج مكتب الباشمهندس عبد العاطى هنا.. ؟
- خير اللهم اجعله خير فيه حاجه يا بنى اقدر أقدمها لك .. ؟
- شكرا عايز الباشمهندس محمد عبد العاطى ؟
- الباشمهندس عيان في مستشفى الجامعة بالزقازيق .

انتابني الفزع والقلق ، لم انطق بكلمة ، تثاقلت قدماي بأكياس من الملح ، تعلقت في حذائي ، ازدادت نبضات قلبي ، ورفرف كحمامة مذعورة طارت من عشها .. تراجعت للوراء اسحب خطواتي ، وتوجهت إلى موقف سيارات (الزقازيق) كان الطريق لا نهاية له ، وكل الأشياء تعود للوراء ، شعرت بثقل الحقيبة وأنا اعتلى درجات السلم ، كأني أحمل (مخلة) المهمات فوق كتفي على رغم ما بها من كاميرا وكاسيت صغير وورق

"دشت" ، عليَّ أن أسجل هذه اللحظة وهو على سرير المرض ، وآخذ عدة صور تذكارية له ..

عندما صافحته في تلك المرة لم أصدق نفسي ، الآن قدر ليَ مقابلته بشحمه ولحمه ، مَنْ رأيته منذ سنوات كأسد جسور يقف فوق فريسته ، انطبعت صورته في مخيلتي أحدثه ويحدثني وجها لوجه ..؟!

من المؤكد أن مرور الأيام والسنين أكسبته هيبة الشيوخ مع ضخامة جسده ..:

- نعم يا أستاذ فيه أي خدمة ..؟

تلجمت لفترة ، وانسابت عبارات التعارف من لساني ووقف مرحبا ..:

- أرجو ألا اثقل عليك يا بطل .

استرسل حديثه بنبرة تواضع جعلت نظراته المتقدة بالفخر والاعتزاز تبدو هادئة ، نمّت عن طيبة القلب ..:

- والله يا أستاذ أيام المعركة أحلى أيام حياتي ، لحظة ما عبرنا القنال وطلعت الشمس على الضفة الشرقية وهتفنا من قلبنا الله أكبر ، وحطمنا خط بارليف وكشفنا كذب العدو وهزمنا جيش إسرائيل الذي لا يقهر ، وكسرنا شوكته لمّا رجعنا لدينًا وتمسكنا بالأخلاق الطيبة ، كان فيه حب

وتضحية وروح وعقيدة وإيمان بالوطن خلتنا نخاف على بعض وحلفنا لنحرر كل شبر من تراب سينا .. وناخد بالتار لكل مصري فقد أبوه أو أخوه أو عمه أو خاله في الحرب .

استرجعت شريط الكاسيت وصوته يرن في أذني عبر سماعة صغيرة ...:

- عايزك تكلمني عن فترة الإعداد للمعركة .
- دخلت الجيش في 25 نوفمبر 69 بعد نكسة يونيو 67 التي تركت أثر على الشعب المصري والعربي وعلينا كجيل من الشباب شعر بمرارة الظلم والكراهية لعدو سفاح يهددنا ويسرق أحلامنا وكان لابد من غسل عار الهزيمة واستعادة الكرامة والعزة وتحرير الأرض بالروح والدم ، وتحملنا أقسى أنواع التدريب ، وبالنسبة لي كنت مجندا فى سلاح الصاعقة ضمن أفراد المدفعية (م/د) المضادة للدبابات ، وتم اختيار حوالي خمسين فرد من الصاعقة للتدريب في دورة لمدة ثلاثة شهور على صواريخ (مالوتيكا) الروسية أو(فهد) بالمصري في الكيلو 54طريق مصر السويس وحصلت على الدورة بتفوق من أوائل الرماة والتصويب على هدف ثابت ومتحرك ، وتم ترقيتي إلى درجة رقيب أول مجند يوم 6أبريل سنة1971 من الفريق محمد أحمد صادق رئيس أركان حرب القوات

المسلحة وقتها ، وشهد لي الجميع بالقدرة على استخدام الصاروخ في جميع الظروف الجوية .. وبعد ذلك تم نقلنا إلى "الفرقة 16 ميدان" في الخطوط الأمامية على الجبهة استعدادا ليوم الحسم وعودة الكرامة حالفين يا أما النصر أو الشهادة .

قاطعته وكلي شغف وحب استطلاع فى كيفية وصفه للحظة عبور القنال ، رغم ما أشيع من إسرائيل من وجود مواسير (النابالم) التي لو فتحت سوف تصبح القنال جحيماً لمن تسول له نفسه النزول والعبور للضفة الشرقية ..

- ازاى أتغلبتوا على الحاجز النفسي الذي صنعه العدو بترويج الشائعات وقت العبور.

- صدقني مهما وصفت وقلت عن هذه اللحظة لا أستطيع وصفها ، عندما تلقينا التعليمات من القيادة بساعة الصفر والعبور مع أول فوج ، دوت صيحة في السماء زلزلت الأرض حولنا (الله أكبر) وتعالت الهتافات من الجنود الواقفين في وضع الاستعداد مما دفعنا بإنزال الزوارق المطاطية المخصصة للعبور ، وكنا نتزاحم حتى تمتلئ عن آخرها ، ويتسابق الكل لنيل شرف العبور أولا وعلى ظهره "الشّدة" وفي حضنه سلاحه ، نجدف بكل ما أتينا من قوة تحت قصف نيران مدفعية العدو فوق الساتر الترابي ، لم اصدق ساعتها عندما وطئت قدماي

رمال سينا ، وتسلقنا خط بارليف بكل ما معنا من عتاد ، ولولا عناية الله ، وضربة الطيران اللي قام بتغطيتنا بعثت في نفوسنا قوة التحدي ، وصدقني شفت بعيني حاجات تشيب لها الرأس ، ولم نجد الجيش المزعوم ، وكل ما وجدناه عبارة عن عدة كمائن متفرقة.

- أوصف لي إحساسك وأنت بتضرب أول دبابة ..

- كانت مجموعتي مكونة من ثلاثة أفراد ، كنت موجه ضارب وأثنين مساعدين ولأن مدى الصاروخ في التصويب على بعد 3 كم وبالتالي تأمين هذه المسافة لقوات المشاة ومواجهة أسلحة العدو الثقيلة من دبابات ومجنزرات وحاملات جنود ، والحمد لله قمت بتدمير أول دبابة ظهرت من جيش العدو على بعد 2,5كم أصبتها إصابة مباشرة في البرج بعد تركيز في العدسة المكبرة وعصا التوجيه بالذبذبات وفي جزء من الثانية أطلقت الصاروخ الذي يبلغ طوله 65سم ويخترق 40سم من الصلب المدرع في حين أن درع الدبابة 15سم ، فيتم تفريغ الضغط الداخلي ويبلغ 100الف ضغط جوى ، وتم تدمير عدد كبير من دبابات العدو لدرجة أننا اشتبكنا مع مقدمة اللواء 190الإسرائيلي بقيادة (عساف

ياجورى) وهو أحد قوات الاحتياط الذي وقع أسيرا للفرقة الثانية بقيادة العميد حسن أبو سعده ، مما جعل إسرائيل تصرخ زي الفأر المذعور ، وتطلب النجدة من أمريكا اللي قامت بعمل جسر جوي وكنا في القطاع الأوسط في (كثيب النخيل) اللي واقع على يمين تبة الشجرة مقر قيادة القطاع الأوسط الإسرائيلي وفي هذا المكان تم تدمير معظم معدات العدو الثقيلة ، وفي هذا الوقت كان على مقربة منا كان شارون يقوم بالهجوم على (قرية الكرامة) المقابلة للسويس القطاع الجنوبي ، وصدقني كنت أتمنى مقابلته بفارغ الصبر لما سمعنا عنه أنه مجرم حرب ، وكانت العقيدة والإيمان هما سلاحنا في المعركة .

- بيقولوا انك دمرت حوالي 26دبابة و3 مجنزرات ..

- بفضل الله تعالي وبمساعدة الزملاء قمت بتدمير 23دبابة و3عربات مجنزرة ، وكان أكبر عدد قمت بتدميره في يوم 12أكتوبر عندما وقعنا في كمين في قلب خطوط دفاع العدو وحاصرتنا ولم يكن معنا سوى مدفع واحد م/د 85مم ورشاشين وكنا في منخفض تحاصرنا دبابات العدو من كل جانب قمنا بصد الهجوم وتدمير 13دبابة إصابة مباشرة في حوالي نصف ساعة ، وانسحبت القوات الإسرائيلية من الموقع

بسرعة وفي هذا اليوم كرمني قائد لواء النصر سيادة اللواء عادل يسري ..وبعد نهاية الحرب حصلت على نجمة سيناء من المشير أحمد إسماعيل في حفل تكريم القوات المسلحة

كانت كلماته تُحي أشياء كامنة في النفس ، إلا أن مسحة من الحزن اعترته عندما سألته عن مصير الفيلم التسجيلي الذي كان يعرضه التليفزيون في ذكرى النصر ..

- صدقني يا أستاذ معرفش راح فين وليه معدش بيذيعوه زى زمان ..!!

وصلت غرفة العناية المركزة المعلق على بابها لافتة (ممنوع الدخول) وطرقت على الباب نقرات خفيفة حتى لا أزعج المرضى ، ففتحه العامل الواقف خلفه ، وطل برأسه ..

- ممنوع الزيارة يا أستاذ .. وممنوع دخول حد العناية المركزة ..!

أظهرت له (الكارنيه) كما هو معتاد ، إلا أنه أصر على رأيه ..:

- مع احترامي يا أستاذ للصحافة لكن تعليمات صريحة وبنفذها .. آسف .

رجوته فى إلحاح حتى أتمكن من رؤيته ، وسقت عليه العناد .. :

- ثواني ابص عليه وح اخرج بسرعة .

- أنت عايز مين ..؟

- المريض محمد عبد العاطى عطية شرف .. متحول من مستشفى منيا القمح .

اقتربت ممرضة تسير في الطرقة مني متسائلة .. :

- هو يقرب لك إيه ..؟! تعيش أنت من خمس ساعات ومش عارفين نتصل بحد ..!!

خارت قواي وتهاوت عزيمتي ، ركنت بظهري على الحائط من هول الصدمة ، انقطع نور الكهرباء من مصابيح الطرقة وأظلمت الدنيا من حولي ، لم اصدق الخبر الذي صعقني ، تمالكت نفسي ورجوتها أن تمهلني لحظة كي أطل عليه للمرة الأخيرة وأملّي عيني منه ، أملأ صدري من رائحته ، أتزود بالدفء والكبرياء ، كم كنت في شوق إلى لقاءك أيها النجم الساطع في سماء الوجود ، كأنك على موعد مع الموت في شهر رمضان الذي شهد مولدك ، هكذا يرحل الأبطال في صمت ، تمالكت نفسي ، وتناقلت الخبر عبر تليفوني المحمول لرئيس التحرير ، وخرجت أحدق في السماء التي غابت عنها النجوم بحثا عن الباقي من أبناء النهار الذين دونت أسماؤهم في الكشف ، أحسست ببرودة شديدة وأنا أجر خطواتي فوق الرصيف ، بينما نفحة رمضانية تطل من فوق مئذنة جامع الفتح بنور ليلة القدر .

سيرة ذاتية

- ✍ إبراهيم عطية.
  - عضو اتحاد كتاب مصر.
  - رئيس مجلس إدارة جريدة الأجيال المصرية.
  - عضو الأمانة العامة لأدباء مصر دورة 1998-2000م.
  - رئيس النادي الأدبي بالشرقية.
  - سكرتير عام فرع اتحاد كتاب مصر فرع الشرقية وإقليم القناة وسيناء.
  - باحث في معجم الشعراء العرب بمؤسسة البابطين.
  - رئيس تحرير سلسلة رؤى شرقية.
  - رئس عدة أقسام في الصحف الإقليمية والقومية منها الإقليم ورأى الأمة وجماهير الشرقية وأخبار الشرقية وجريدة الكنانة.
  - شارك في العديد من المؤتمرات والمنتديات الأدبية في أنحاء مصر 0
  - نشر العديد من الأعمال القصصية والرؤى النقدية في الدوريات الأدبية المتخصصة في مصر والأقطار لعربية (أخبار الأدب - جريدة القاهرة- الثقافة الجديدة - مجلة قطر الندى - جريدة الجمهورية والمساء - الأهرام المسائي – مجلة ضاد).
  - تم إعداد إحدى قصصه القصيرة للمسرح في مهرجان إقليم شرق الدلتا الثقافى عام 1999 م بعنوان (صيد المطر)
- ✍ أهم الجوائز التي حصل عليها:

- المركز الأول للقصة القصيرة في جامعة القاهرة 1990م.
- الجائزة الأولى في القصة القصيرة ثقافة الشرقية.
- جائزة الإدارة العامة للشباب والعمال في (القصة القصيرة) عام 2001م.
- حائزة مجلة النصر في القصة القصيرة 2001
- جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة في النشر الإقليمي المركز الأول كرئيس تحرير لمطبوعات ثقافة الشرقية 2001.

الأعمال المنشورة :

- طعم الوجع – قصص قصيرة – سلسلة إبداعات - الهيئة العامة لقصور الثقافة 1998م.
- صيد المطر – قصص قصيرة - صدرت عن ثقافة الشرقية 1998م.
- حوريات الضوء – قصص قصيرة – سلسلة خيول – ثقافة الشرقية 2006 م.

أعمال تحت الطبع :

- سبت النور - رواية.
- للزقازيق دفء القرفة - رواية.
- الحلزونة - رواية
- مس البدن - قصص قصيرة
- أولى أول - قصص للأطفال 0
- ابن أراجوز - مسرحية.

موسوعة أعلام مصر الحديثة.

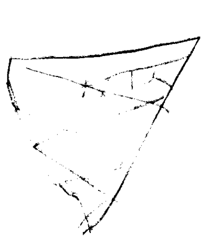
فهرست

رقم الإيداع بدار الكتب

٥٣٩٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-374-170-2



دار الإسلام للطباعة والنشر

٠٥٠ / ٢٢٦٦٢٢٠

٠١٢٢٦١٤٣٦٣